

شخصية المسلم

بين

الفردية والجماعية

دكتور السيد محمد نوح



شخصية المسافر
بين
الفردية والجماعية

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المجورة ش.م.م

الإدارة والهطايح - المرزوق - الامام محمد عبد الوهاب كلية الآداب

ب ٢٤٧٧٦ / ٢٥٦٢٢ / ٢٥٦٢٢

الهاتف : امام كلية الطب ٢٤٧١٢٢ من ب ٢٢ تكس UN 24004 DWFA



شخصية المسلم

بين
الفردية والجماعية

دكتور السيد محمد نوح

دار الوقف للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م

اسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ، والسالكين سبيله ، والداعين بدعوته إلى يوم الدين وبعد .. فإن الأمة الإسلامية تعاني في الوقت الحاضر ، أكثر من أي وقت مضى من كثير من العلل ، ومن كثير من الأمراض .
يُبد أن أخطر هذه العلل ، وتلك الأمراض ، وأشدّها فتكاً بحياة هذه الأمة ، إنما يكمن في :

خراب الشخصية المسلمة ، أو على الأقل فقدانها توازنها من كلّ النواحي الفكرية والروحية والبدنية ، بل واستمرار هذا الخراب أو هذا الخلل ، حتى صارت هذه الشخصية شخصية أنانية ، خوارة ، جبانة ، يائسة ، قنوطاً ، انطوائية ، انعزالية ، إمعة ، تحب النوم والراحة ، وتستمرىء الذلّ والهوان إلا من رحم الله .

أجل : لقد كان خراب الشخصية المسلمة ، أو على الأقل
فقدانها توازنها من كلِّ التواحي ، بل واستمرار ذلك هو أخطر
ما نزل بهذه الأمة من علل وأمراض ، وأشدُّها فتكًا بها .

نظرًا لأنه انتهى بها إلى الفرقة المستمرة ، والتمزق الدائم على
كُلِّ المستويات الداخليَّة والخارجيَّة ، الشعبيَّة والقياديَّة .
وكذلك انتهى بها إلى القعود عن أداء رسالتها وهذا بدوره أطمع
فيها أعداءها ، وأوقعها فريسة بين أنيابه وفي فكِّه ، حتى صارت
تابعة له في كل ما يصدر عنها من أقوال وسلوكيات ، بل حتى
في الخواطر والمشاعر النفسيَّة .

ولا بد أن تتحرر هذه الأمة من كل تبعيَّة ، وتعمل على
استعادة مركزها ومكانتها بين أمم الأرض ، لتضمن لنفسها
حياة طيبة كريمة في الدنيا ، وفوزًا ونجاة في الآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ،
وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ﴿ فَمَنْ آتَبَع
هُدَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٢) هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى حتى تحفظ على هذه البشرية الهائجة
الجامحة حقَّ الحياة ، إذ البشرية اليوم أشبه بمجنون في حالة هياج
وجماح شديدين ، يريد أن يدمر غيره ، وأن يقتل نفسه ،

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) سورة طه : ١٢٣ .

حسينا أنها خاضت حرين عالميتين في أقل من نصف قرن من الزمان تكبدت فيهما خسائر مادية وبشرية تكاد تجعل الولدان شيئا^(١) .

والحرب العالمية الثالثة على الأبواب ، ولو وقعت - لا قدر الله - لأتت على الأخضر واليابس ، وتكون نهاية العالم ، بسبب التقدم النووي الهائل لاسيما في مجال العلوم العسكرية .

وليس على وجه الأرض اليوم ، وإلى أن تقوم الساعة ، أمة قادرة على القيام بهذه المهمة - أعني مهمة حفظ الحياة على البشرية جميعا - سوى الأمة الإسلامية إذا هي التزمت بإسلامها .

لا بد إذن أن تتحرر الأمة الإسلامية من كل تبعة ، لتمسك بزمام الحياة مرة أخرى وتوجهها التوجيه الصحيح الذي يسعدها ، ويحفظ حق الحياة لغيرها من الناس .

وسبيل ذلك أن تبدأ من حيث انتهت ، أو وقفت ، وقد انتهت أو وقفت كما قدمنا عند خراب الشخصية المسلمة أو فقدانها توازنها من جميع النواحي الفكرية والروحية والبدنية إلا من رحم الله .

(١) بلغت جملة خسائر الحرب العالمية الأولى والثانية حسب آخر الإحصائيات التي نقلها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه « ماذا خسر العالم بانعطاف المسلمين » ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ الأرقام التالية : « ٢١ مليون نسمة أصيبوا في الحرب العالمية الأولى ، القتل منهم ٧ ملايين ، ٥٠ مليون نسمة أصيبوا في الحرب العالمية الثانية ، وبلغت =

إذن فلتبدأ من هذه النقطة ، وتعمل جاهدة على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبئة على كل خصال الشر ، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره ، والتي شعارها في هذه الحياة :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

ولعل أول لبنة في بناء هذه الشخصية المنشودة إنما هي المعرفة أو الفقه أو الفهم الدقيق الواعي لأبعادها ، ومعالمها التي ينبغي أن تكون عليها ، والمنهج الأمثل لتحقيق هذه الأبعاد ، وتلك المعالم .

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة : « شخصية المسلم بين الفردية والجماعية » وإنها لدراسة بسيطة متواضعة من أجل المشاركة أو المساهمة في تكوين هذه اللبنة ، والله من وراء القصد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو عبادة

= تكاليف قتل رجل واحد في الحرب الأولى عشرة آلاف جنيه أما مجموع نفقاتها فيبلغ سبعة وثلاثين مليوناً من الجنيهات ، وقدرت نفقات الحرب العالمية الثانية لساعة واحدة بمليون من الجنيهات وذلك كثير جداً لو قورن بما وقع في عصر النبوة إذ لم يزد عدد القتيلين من الفريقين (المسلم والكافر) في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التي ابتدأت من السنة الثانية للهجرة ، ودامت إلى السنة التاسعة على ١٠١٨ نسمة ، المسلمون منهم ٢٥٩ ، والكفار ٧٥٩ .

(١) سورة الأنعام : ١٦٢ — ١٦٣ .

مدخل

لا يشك عاقل يحترم نفسه في أن الإنسان - كغيره من المخلوقات - صنعة الله ، خلقه ليكون سيّدا في هذا الكون .
عبدا لرب هذا الكون .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .. ﴾ (١) ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا .. ﴾ (٢) ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ (٣)
وحتى يتمكن الإنسان من القيام بهذه المهمة - أعني مهمة السيادة في ضوء العبودية التامة لله رب العالمين - زوّده الله في ذاته وتكوينه بما يعينه على ذلك ، فخلقه مؤلفا من جسد وعقل وروح ، أو من مادة ونفس أو معنى .

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِ رَبِّهِ ﴾

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) سورة هود : ٦١ .

(٣) سورة الناريات : ٥٦ .

رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وأمدّ النفس أو المعنى بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية .
كلُّ غريزتين منها متجاورتان في النفس . وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه :

الخوف والرجاء ، الحبُّ والكراهة ، الاتجاه إلى الواقع ، والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسيّة ، والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدرّكه الحواس ، والإيمان بما لا تدرّكه الحواس ، حب الالتزام والميل للتطوع ، السلبية والإيجابية ، الاستعلاء والتواضع ، الشدّة واللين وهلمّ جرّاً .

كلها غرائز متوازية ومتقابلة — كما نرى — وهي بتوازيها وتقابلها تؤدي مهمّتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، وكأنّما هي أوتاد متفرقة متقابلة تشدُّ الكيان كلّهُ ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسّع أفقه ، وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا في مستوى واحد (٢) وصدق الله العظيم : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٣) .

(١) سورة السجدة : (٧ - ٩) .

(٢) منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب ١ / ١٢٦ بتصرف .

(٣) سورة الشمس : ٧ ، ٨ .

يبد أن أداء كل غريزتين من هذه الغرائز المتوازية المتقابلة لهذه المهمة مشروط بتنمية بل وتحقيق التوازن بينهما ، بحيث لا تطغى أو لا تبرز واحدة منهما على حساب الأخرى .

وذلك ما أرشد إليه الحق سبحانه في قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٢) ، وهو ما وعاه وانتبه إليه سيدنا عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - حين قال : « خالط الناس ودينك لا تكلمنه » (٣) .

(١) سورة الأعلى : ١٤ .

(٢) سورة الشمس : ٩ .

(٣) انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ١ / ١١٠ .

الفصل الأوّل

الفردية والجماعية عند الإنسان

وتعدُّ الفردية أي الاعتداد بالنفس ، والحفاظ على ذاتيتها واستقلالها وكيانها وكذلك الجماعية أي الميل إلى العيش في الجماعة ، والتعايش معها من الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني .

كل واحدة توازي الأخرى ، وتقابلها أو تصادها ، كما يشهد بذلك واقع الإنسان نفسه فإننا نرى الطفل وفيه حرص مد نعومة أظفاره على اعتداده برأيه ، ورعته في الاستقلال نفسه ، في الوقت الذي يميل إلى محالطة أقرانه وأترابه ، والتسارل عن بعض حظوظ نفسه ، وخفض الجناح لهم ، ومحاولة الذوبان فيهم ، والتعايش معهم .

وكما تشهد بذلك بعض النصوص الشرعية التي تتضمن مسئولية الإنسان عن عمله ، فردية كانت هذه المسئولية أو جماعية ..

كقوله تعالى ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ نَفْسِكَ الْيَوْمَ

عَلَيْكَ حَسِيْبًا ﴿١﴾ ﴿١﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ
 مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾
 ﴿٣﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ
 يُجْزَأُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِيْنٌ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ لِكُلِّ
 امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
 بَصِيْرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
 لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
 خَاصَّةً ﴿٩﴾ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ
 الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿١٠﴾ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن
 تَشْرُؤُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ

(١) سورة الإسراء : ١٣ .

(٢) سورة فاطر : ١٨ .

(٣) سورة النجم : ٣٩ - ٤١ .

(٤) سورة الطور : ٢١ .

(٥) سورة المدثر : ٣٨ .

(٦) سورة عبس : ٣٧ .

(٧) سورة القيامة : ١٤ ، ١٥ .

(٨) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٩) سورة الأنفال : ٢٥ .

(١٠) سورة التوبة : ١٢٣ .

(١١) سورة محمد : ٧ .

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١﴾ .

وهذا التوازي مع التقابل أو التضاد إذا أحسن توجيهه ،
ووضع في مساره الصحيح ، فإن له دوره الإيجابي ، وأثره
الفعال في النفس البشرية وفي واقع الحياة .

أما إذا أهمل وانحرف عن مساره الصحيح ، فإنه يؤدي إلى
التناقض والقلق في داخل النفس وبالتالي الخلل والاضطراب في
واقع الحياة .

يقول الأستاذ محمد قطب :

« الفردية والجماعية من الخطوط المزدوجة في كيان
الإسك ، هذان الخطان المرتبطان المتناقضان : إحساس الإسك
بفرديته وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخريين ، والحياة معهم
كواحد منهم ، وهذه الظاهرة ذات أثر بالغ في الحياة السيرية ...
فكيان المجتمع كله قائم على محاولة التوفيق بين هذين الخطين ، كل
منهما حقيقة ، وكل منهما أصيل ، والتناقض يحدث في باطن
النفس ، كما يحدث الاضطراب في واقع الحياة ، حين تزيد

(١) سورة الحجرات . ٩

النسبة المقررة لكل واحد ، فينحرف عن مساره ، ويعتدي على مسار الآخر ويشده إليه ، أما حين يأخذ كُلُّ منهما مداره الصحيح ، فلن يحدث التماثل بين الفرد والجماعة أو يحدث الشقاق»^(١) .

ولعلَّما يكون كلامنا نظرياً مجرداً فإننا سنسوق الآن الآثار الإيجابية والسلبية لكل من الفردية والجماعية على كيان المسلم ، وفي واقع الحياة .

(١) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

الفصل الثاني آثار الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي واقع الحياة

قدمنا أن لكل من الفردية والجماعية آثاراً إيجابية وأخرى سلبية على كيان المسلم وفي واقع الحياة ، بحيث إذا نَمَت كل واحدة منهما بالقدر المطلوب أو المناسب ولم تتعارض أو لم تتناقض مع الأخرى كانت الآثار الإيجابية التي تسعد الإنسان ، وتطيب بها الحياة .

أما إذا أهملت وزادت إحداها على الأخرى أو تلاشت ، كان شقاء الإنسان وفساد الحياة وإليك هذه الآثار :

أ - الآثار الإيجابية للفردية

وتتلخص الآثار الإيجابية للفردية على كيان المسلم وفي واقع الحياة فيما يأتي :

١ - أعمال النظر والفكر :

ذلك أن المسلم يشعر أن غفلته عن النظر في نفسه وفيما حوله ، وخموله عن أعمال فكره فيهما ، يتيحان الفرصة لسيطرة غيره عليه ، ممن يصدّون عن سبيل الله ويغونها عوجا ، بل والحيلولة بينه وبين أن يحيا الحياة العادية التي ينشدها كل إنسان عرف إنسانيته في هذه الحياة الدنيا ، هذا فضلا عن كونه قد عرّض نفسه بذلك لغضب الله وعقابه .

إذ يقول النبي ﷺ - تعقيبا على الآيات الأخيرة من سورة آل عمران ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ﴾ إلى قوله : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا نخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .

يقول : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » (١) .

لذا فإن المسلم الذي أحسّ بفرديته ، ووجد ذاتيته حريص على أعمال النظر ، وإجالة الفكر فيما حوله أو في كل ما يحيط به . من أجل تطويعه والانتفاع به - مرضاة لله أولا ، ثم حفاظا على هذه الذاتية أو الفردية ثانيا .

(١) الحديث جزء من حديث طويل أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٤٠ - ٤٤١ من طريقين عن عطاء الأولي بلفظ : « انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمر إلى عائشة - رضي الله عنها - فدخلنا عليها ، وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر : زر غبا تردد حبا =

٢ - مضاعفة النشاط والجهد :

ذلك أن المسلم يدرك أن تراخيه وتقصيره في بذل النشاط والجهد يمكنان غيره من أعداء الله مِنْ سَبِقِهِ والإمساك بزمامه ، نظراً لأن الحياة تقوم على السبق والمغالبة على حدّ قول القائل :
وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً^(١)
الأمر الذي يحول بينه وبين الحياة الحرة الأبية الكريمة . هذا فضلاً عن كونه قد خالف بذلك أمر الله ورسوله .

إذ يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) ، ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ

= فقال ابن عمر ذرنا ، أخبرنا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ فبكث وقالت : « كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى مسح جلده جلدي ، ثم قال : ذريني أتعبد لربي - عز وجل - قالت : قلت : والله إنني لأحبّ قربك ، وإنني أحبّ أن تتعبّد ربك ، فقام إلى القرية فوضأ ، ولم يكثر صب الماء ، ثم قام بهلبي فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى . حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت : فقال يا رسول الله : ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ﴾ ، ثم قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » والطريق الأخرى بنحوه ، ثم عزاهما - أي ابن كثير - إلى ابن مرهويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان .

(١) البيت من قصيدة : « ذكرى المولد » لأمير الشعراء أحمد شوقي كما في الشوقيات ١ / ٧١ .
(٢) العنكبوت : ٦٩ .

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ وإذ يقول
النبي ﷺ : « كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ
مُرَابِعًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْتَمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ
مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ » (٢)

وعليه فإن المسلم الذي اكتملت فرديته ، وأحسن بذاتيته
— حريص على مضاعفة النشاط والجهد من أجل السيطرة
والإمساك بزمام الحياة ، بل وتوجيهها نحو النافع المفيد الذي
يسعده ويسعد البشرية ، ويسمو بها إلى العلياء في كل مكان ،
مرضاة لله أولاً ، ثم صيانة لهذه الذاتية أو الفردية ثانياً .

٣ - المشاركة بالرأي الفعّال :

ذلك أن المسلم يعي أن الحياة مليئة بالمواقف الغامضة ،
والقضايا المشكّلة ، وأن النجاح في الخروج من هذه المواقف ،
وتلك القضايا يوجب المشاركة بالرأي الفعّال ، وإلا فإن هذه
المواقف الغامضة ، وتلك القضايا المشكّلة ، ستسد الطريق في
وجهه ، وتقعّد به عن متابعة مستيرة الحياة إلى نهايتها .

(١) سورة الحديد : ٢١ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء
في فضل مَنْ مَاتَ مُرَابِعًا ٤ / ١٦٥ رقم ١٦٢١ من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً
به ، وزاد : « وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : الْجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ » ثم عقب
عليه الترمذي بقوله : « وَحَدِيثُ فَضَالَةَ جَدِثَ حَسَنٌ صَحِيحٌ » .

لهذا فهو يحرص - بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من ذاتيته أو فرديته ثانيا - على المشاركة بالرأي الفعال في كل ما يعترض طريقه من أجل الاستمرار في المسيرة إلى نهاية الشوط الأخير فيها .

٤ - القدرة على مجابهة مشاق وتكاليف الطريق :

ذلك أن المسلم يعلم أن الطريق كلها مشاق وتكاليف ، وما لم يجمع همته ، ويعلي إرادته ويقوّي عزيمته ، فإنه لن يستطيع مجابهة هذه المشاق ، وتلك التكاليف الأمر الذي يؤدي إلى هلكته ، وبالتالي غيابه عن مسرح الحياة ، هذا فضلا عن كونه قد عرّض نفسه بذلك للحساب والمساءلة غدا من الله سبحانه وتعالى ، نظرا لأنه لم يجاهد نفسه ، ولم يعوّدها الصبر والتحمل ﴿... وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم﴾ (١)

لذا فهو حريص - بدافع من دينه أولا ثم بدافع من ذاتيته ثانيا - على جمع همته ، وإعلاء إرادته ، وتقوية عزيمته ، حتى يتمكن من مجابهة مشاق وتكاليف الطريق ، فيبقى حاضرا على مسرح الحياة مؤثرا فيها ، ويسلم غدا من الحساب والمساءلة .

(١) التوبة : ٤٢ .

٥ - الجهر بالحق وحمایته من تطاول المتطاولین ، وعبث العابثین :

ذلك أن المسلم يدرك أن السكوت عن الجهر بالحق والتقصير في حمايته بعد النصح بالحسنى ، يفسح المجال أمام الباطل ، فيتطاول المتطاولون ويعبث العابثون ، وتتحول الأرض بعد فترة من الزمان إلى بؤرة من الشرّ والفساد .

وينعكس ذلك أول ما ينعكس عليه شخصيا ، فتصادر حرّيته ، ويحال بينه وبين أن يحيا الحياة الأيية الكريمة ، هذا فضلا عن عقاب الله الذي ينتظره في الآخرة ، وقد صور القرآن الكريم والسنة النبوية عاقبة هذا السكوت ، وذلك التقصير في الدنيا والآخرة .

فقال الله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١) . ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ، وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

وقال النبي ﷺ : « مثل المدّهن في حلود الله ، والواقع فيها . مثل قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها ،

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) سورة الحج : ٤٠ .

وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يبرون بالماء على الذي في أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك ؟ قال : تأذيتم بي ، ولا بد لي من الماء ، فإن أخلوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه ، وأهلكوا أنفسهم (١) .

وعليه فإن المسلم حريص - بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فرديته ثانيا - على الجهر بالحق وحمایته بكل ما يملك ، لئلا يتناول عليه المتناولون أو يعيب به العابثون ، فيهان في نفسه ، وتفسد الحياة .

٦ - الدفاع عن النفس وسائر الحرمات :

ذلك أن المسلم يوقن أن وقوفه مكتوف الأيدي أمام كل من يعتدي عليه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في باقي الحرمات ، يجعله هدفا لكل غاد ورائح ، الأمر الذي يحول بينه وبين التفرغ لأداء مهمته أو رسالته في هذه الأرض ، هذا فضلا عن كونه قد خالف هدى الإسلام في ضرورة الدفاع عن

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الشهادات : باب القرعة في المشكلات ٣ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ، والترمذي في : السنن : كتاب الفتن : باب منه ٤ / ٤٧٠ رقم ٢١٧٣ كلاهما من حديث النعمان بن بشير - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً به . واللفظ للبخاري .

النفس وعن سائر الحرمات ، إذ يقول النبي ﷺ - « مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قَتَلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » (١)

لذا فهو حريص — بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فرديته أو ذاتيته ثانيا — على الدفاع عن نفسه ، وباقي الحرمات بكل ما يملك من إمكانات ووسائل حتى يظل ماضيا في أداء مهمته أو رسالته فيظفر بالحياتين : الأولى والآخرة .

٧ - الطاعة في غير المعصية :

وذلك أن المسلم يُؤمِنُ أن اتخاذ إمام أو أمير أو ولي أمر فوق - أنه شريعة ودين - فهو ضرورة لا بد منها . نظرا لأنه يساعد على وضع الأمور في نصابها والقضاء على الفوضى في حياة الناس ، فيسهل الانتفاع أو استغلال الجهد ، والوقت والمال .
ويؤمن كذلك أن عمده الطاعة مشروطة بكونها ، في غير المعصية لتجنب الأخطاء التي هي طبيعة البشر ، بل لتجنب

(١) الحديث أخرجه أبو داؤد في : السنن : كتاب السنة : باب في قتال اللصوص ٤ / ٢٤٦ رقم ٤٧٧٢ ، والترمذي في : السنن : كتاب الديات : باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ٤ / ٣٠ رقم ١٤٢١ كلاهما من حديث سعيد ابن زيد مرفوعا به واللفظ لأبي داؤد ، وقال الترمذي عقيبه : « هنا حديث حسن صحيح » .

التسلط أو الاستبداد الذي يقتل الرجولة ويقضي على الحرية والكرامة ، فضلا عن كونه يعرض لغضب الله وانتقامه .

لذا فإن المسلم حريص - بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فريته ثانيا - على الطاعة المبصرة أي التي تكون في غير معصية الله - عزَّ وجلَّ .

٨ - بذل وقبول النصيحة :

ذلك أن المسلم يدرك أن الخطأ شأن الإنسان وطبيعته ، وأن علاج هذا الخطأ إنما يكون ببذل النصيحة للغير ، وقبولها من الغير ، وإلا تراكمت الأخطاء ، وكان الهلاك والبوار .

لذا فهو يحرص - مرضاة لله أولا ، ثم حمايةً لفريته ثانيا - على بذل النصيحة مقرونة بشروطها وأدابها ، بل وعلى قبول هذه النصيحة من الغير إن كان الخطأ منه ، لتزول النفوس صفحة بيضاء ولتطيب الحياة .

٩ - محاسبة النفس :

ذلك أن المسلم لا يخفى عليه أن الخطأ سمة البشر ، وأنه ليس عيبا أن يخفى ، وإنما العيب كل العيب أن يعصر على الخطأ ، ولا يخفى عليه كذلك أن محاسبة النفس سبيل من أنجح السبل للتعرف على عيوب النفس وآفاتنا ثم علاجها والتطهر

منها كما قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾^(١)

لذا فهو حريص — مرضاة لله — عز وجل — أولا ثم
صيانة لفرديته ثانيا — على محاسبة نفسه ، لئلا تتراكم عليه
الأخطاء ، فتضطرب النفس من داخلها وبالتالي تفسد الحياة .

ب - الآثار الإيجابية للجماعية

وكذلك الجماعية إذا نمت في النفس بالقدر المطلوب دون
زيادة أو نقص فإن لها آثارا إيجابية على كيان المسلم وفي واقع
الحياة يمكن تلخيصها فيما يأتي :

١ - اكتشاف النفس :

أي مساعدة المسلم على اكتشاف شخصيته وما تنطوي
عليه من كمال ، أو نقص قوة ، أو ضعف ، ذلك أن الإنسان
مهما يكن ذكاؤه ومهما تكن فطنته لا يمكنه وحده التعرف
على أبعاد شخصيته معرفة دقيقة ، وإنما لا بد له من آخرين
يساعدونه على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر لا يستطيع
الانسان أن يكتشف ما في شخصيته من أثره وأنانية أو إثارة
وتعاون إلا إذا عاش في جماعة ، وخالط أفرادها ورأى أصحاب
الحاجات منهم ، ثم يبصر نفسه هل تقسو وتجمد ؟ فتشح

(١) سورة الحشر : ١٨ .

وتبخل وحيثئذ تكون الأثرة والأناية ، أو ترق وتلين ؟ فتجود وتعطي ، وحيثئذ يكون الإيثار والتعاون وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما في شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة ، إلا إذا كان في جماعة ، وصادف طبقات من غير أولي الكياسة ، ونظر هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق ، وهنا يكون الجليم والأناة ، أو يقابلها بمثلها وأشد ، وهنا يكون الحمق والعجلة ، وأيضا لا يعرف الإنسان ما عنده من الشجاعة الأدبية أو الجبن والخور إلا إذا لزم الجماعة ورأى من يخطيء ، ثم تأمل نفسه هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطيء أن الصواب في غير ما نطقت ، والحق في غير ما رأيت ، والخير في غير ما أتيت ، وهنا تكون الشجاعة الأدبية ، أو يعز عليها أن تقول ذلك فتصمت وتخرس وهناك يكون الجبن والخور .

وبالمثل لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب ، من أمانة وخيانة من نظام وفوضى إلا إذا عاش وسط جماعة ، وحدث أفرادها أو ائتمنوه على أموالهم ودمائهم وأعراضهم أو ضرب لهم موعدا ، أو أعطى من نفسه عهدا لهم ثم نظر .. هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع ؟ فيكون صادقا ، أو بما يخالفهما فيكون كاذبا .. وهل يحافظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟ فيكون أميناً أو يعتدى عليها ويهدرها فيكون خائناً ، وهل يحافظ على عهده ويفي بوعده ؟ فيكون

دقيقاً منضبطاً منظماً او يهمل ويخالف ؟ فيكون فوضوياً غير دقيق ولا منضبط ولا منظم .

وهكذا تعدُّ الجماعة حقلاً تجريبياً يطلع المسلم من خلاله على ما في نفسه من كمال أو قصور ، ومن قوة أو ضعف ، الأمر الذي يسهل عليه أن يعمل - إذا كان جاداً وراغباً في إقامة هذا الدين في نفسه - أن يعمل على تنمية ورعاية جوانب القوة ، وتقوم وتكميل جوانب الضعف .

وقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى هذا الدور للجماعة حين قال : « المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه^(١) .

وكانه يقول : الطريق التي يعرف بها المسلم عيبه ومواطن القصور والضعف في شخصيته ، إنما هي الجماعة . لأنها بالنسبة له كالمرآة . والشأن فيمن يعرف عيبه ويدرك قصوره وضعفه أن يسعى جاهداً لإصلاحه وتهذيبه كما يصنع من يقف أمام المرآة وتدله على حاله .

٢ - تقويم الاعوجاج :

أي إصلاح وتهذيب وتقوم ما عساه يكون في شخصيته

(١) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب في النصيحة =

من قصور أو ضعف أو عوج ، ذلك أن الجماعة إذا ساعدت المسلم على اكتشاف عيوبه ثم رأت أنه لا يعمل على التخلص منها لسبب أو لآخر بادرت إلى القيام بدورها بما تراه مناسباً . فتارة تمارس أمامه الصورة الصحيحة والتموذج الأمثل ليقتدى به ويتأسى . وتارة تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها . وتارة تلجأ إلى العتاب واللوم وتارة تستخدم التوبيخ والتفريع وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معين .

وهكذا تمارس الجماعة مختلف الأساليب والوسائل . وتسلك سائر الطرق لتعود بشخصية المسلم إلى ما ينبغي .

ولعل هذا الدور للجماعة هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله تكلمة الحديث : « المؤمن مرآة أخيه (إن رأى فيه عيباً قومه)^(١) » ويقوله : « الدين النصيحة » قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٢) وفي الأثر : « من يُرد الله به خيراً يهده خليلاً صالحاً إن نسي ذكره »^(٣) .

= والحياطة ٤ / ٢٨٠ رقم ٤٩١٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به .
(١) تقدم تخريجه منذ قليل .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن : كتاب الأدب : باب في النصيحة ٤ / ٢٨٦ من حديث تميم الثماري - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً بنحوه .

(٣) الأثر بهذا اللفظ لم أعر عليه ، لكن أخرج أبو داود في السنن : كتاب =

٣ - توظيف الطاقات :

أي توظيف سائر طاقاته وإعمال غرائزه بما يؤدي إلى التوازن والتكامل في شخصيته ، ويقضي على أي فراغ يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجن في إغوائه وإضلاله . ذلك أن الإنسان - كما قدمنا - مؤلف من جسد وعقل وروح ، والروح مزوّدة بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منها متجاورتان في النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه : كالخوف والرجاء ، والحب والكره ، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس ، والإيمان بما لا تدركه الحواس ، سحب الالتزام والميل إلى التطوع ، الفردية والجماعية .. السلبية والإيجابية .. الخ .

كلها غرائز متوازية ومتقابلة - كما ترى - وهي بتوازنها وتقابلها تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما

= الإمامة باب في انخاذا الوزير ٣ / ١٣١ من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ : « إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق : إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ... الحديث وأخرج النسائي في السنن : كتاب البيعة : باب وزير الإمام ٧ / ١٥٩ . من حديث القاسم بن محمد عن عمته - أي عائشة - مرفوعاً بلفظ : « من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً ، جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » إلا أن في إسناده بقية ، وحاله معروفة .

هي أوتاد متفرقة متقابلة تشد الكيان كله وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا في مستوى واحد .. بيد أن تحقيق التوازن والتكامل في حياة المسلم مرهون بإعطاء كل غريزة من هذه الغرائز حقها دون زيادة أو نقص .

والجماعة هي المجال الوحيد الذي يوظف سائر طاقات المسلم ، ويجعل كل الغرائز تعمل بدرجات متساوية ومتوازية في نفس الوقت ، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين الشخصية السوية المتزنة المتكاملة ، الخالية من أي انقسام أو عوج ، والمحصنة ضد كيد الشيطان وإغوائه ، ولعل هذا هو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : « عليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليأزم الجماعة » (١) .

٤ - بث الأمل ودفع اليأس :

أي بث الثقة والأمل في نفسه .. ذلك أن المسلم الذي

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن ١٠/٩ بهامش عارضة الأحوذى من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعا به ، وعقب عليه بقوله : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .

يعمل منفردا لدين الله يعتريه بين الحين والحين خاطر : (ماذا أصنع وحدي ، وأعداء الله - في داخل الأمة وخارجها - كثر ، ولهم خططهم وأساليبهم الخبيثة الماكرة ، وممسكون الآن بخناق العالم الإسلامي) ؟ ولا يزال هذا الخاطر يلح عليه وليس عنده ما يدفعه به حتى يدب اليأس والقنوط إلى نفسه فيترك العمل لدين الله .

أما إذا كان يعمل لهذا الدين من خلال جماعة ، وعرض له مثل هذا الخاطر ، فإنه يستطيع دفعه بأنه ليس وحيدا في الميدان ، وإنما هناك آخرون غيره يسرون معه في نفس الطريق ، ولهم من الوسائل والأساليب والإمكانات ما يعينهم على مواجهة أعدائهم وإحباط مكائدهم ومخططاتهم .

وهكذا تُبثُّ الجماعة في نفس المسلم الثقة والأمل بأن نصر الله آت لا محالة ، وأن السيادة والغلبة ستكون لدين الله — عزَّ وجل —

٥ - تجديد النشاط والهمة :

أي تجديد نشاطه بما يقوي عزيمته ويعلي همته ويضاعف من جهده .. ذلك أن المسلم تعتريه في بعض الأحيان حال من الفتور والتراخي بسبب ضخامة الأعباء ، وبعد الطريق ، ومشقة العمل ، فإذا ما التقى بإخوانه وتفرس نور الطاعة في

وجوههم ، ورأى كثرة خشوعهم ، وشدة إقبالهم على ربهم ..
زال هذا الفتور وذلك التراخي وامتلاً حماساً وحيوية ونشاطاً
فيضعف من جهده ، كأنما لم يعمل لدين الله من قبل .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الدور حين قال : « ألا أخبركم
بمخير الناس قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من تذكركم رؤيته
بالله عزَّ وجلَّ » (١) .

٦ - اكتساب الخبرات والتجارب :

أي تزويده بكثير من الخبرات والتجارب التي تعينه على
مواجهة ما يعترض طريقه من صعاب وعقبات .. ذلك أن
طريق العمل لدين الله طريق مليئة بالعقبات ومحفوفة بالمخاطر ،
والمسلم الحصيف الذكي هو الذي يملك الخبرة أو التجربة التي
تعينه في التغلب على هذه العقبات والنجاة من تلك المخاطر .

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن : كتاب الزهد : باب من لا يؤبه له
٢ / ١٣٧٩ رقم ٤١١٩ من حديث سويد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن سليم عن أبي
ثَعْيَمٍ عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« ألا أتبيخكم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « خياركم الذين إذا رُعوا
ذكر الله عزَّ وجلَّ ، وأورده البوصيري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة
٤ / ٢١٥ وعَقَّبَ عليه بقوله : « هنا إسناد حسن ، وشهر وسويد مختلف فيهما ،
وباقى رجال الإسناد ثقات ، رواه مسدد في مسنده .. وكذا رواه أبو بكر بن أبي
شيبه في مسنده ... وكذا رواه عبد بن حميد في مسنده ، وأبو يعلى الموصلي في
مسنده من طريق شهر بن حوشب به . »

وليس هناك مجال أرحب وأوسع يكتسب فيه المسلم الخيرات ويتعلم التجارب سوى الجماعة ، ولعلنا بذلك نستطيع أن نفسر دقة السلوكيات والتصرفات الواقعة من الفرد المخالط للجماعة عن نظيراتها من الفرد الذي يعيش وحده .

٧ - التعاون من أجل التمكين لمنهج الله في الأرض :

أي إيعانته على تأدية واجبه نحو دين الله عز وجل ، إذ أن من واجب المسلم نحو دين الله : الدعوة إلى هذا الدين ، والجهاد في سبيله حتى يُمكن له في الأرض ، وتبقى رأيته عالية في العالمين ، ولن يستطيع المسلم القيام بهذين الواجبين وحده ، وإنما لا بد له من أعوان يشلون أزره ويقرون عضده ويعينونه على أمره . ولعل أوضح مثال يؤكد لنا عجز المسلم عن القيام بهذين الواجبين وحده : رغيف الخبز فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات بل مئات من البشر تعاونت على تجهيزه وإعداده وتقديمه .

ومن كان في شك من ذلك فليسأل نفسه : مَنْ حرث الأرض ؟ وَمَنْ بنر فيها الحب ؟ ومن سقاه بالماء ؟ وَمَنْ اقتلع الحشائش الضارة منه ؟ وَمَنْ حصده ؟ ومن نقله إلى الجرن ؟ وَمَنْ درسه ؟ ومن فصل الحب عن التبن ؟ وَمَنْ طحنه ؟ وَمَنْ عجنه ؟ وَمَنْ خبزه ؟ وَمَنْ سواه بالنار ؟ وَمَنْ حمله إلينا ؟ وَمَنْ ؟ وَمَنْ ..؟ هذا فضلا عن القوى الكونية الأخرى

كالشمس والهواء والماء والترية .. الخ ، وفوق هذا وذاك يد الله - عز وجل - ﴿ أفرأيتم ما تَحْرَثُونَ ، أنتم تزرعون أم نحن الزارعون ﴾ (١) وعليه فمن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه في تحصيل هذا الرغيف - الصغير في حجمه البسيط في مكوناته - فإنه سيموت أو يشرف على الموت قبل أن يحصل عليه .

وإذا كانت الحال كذلك في أمر بسيط هين كـرغيف الخبز ، فكيف لو كان الأمر أمر دعوة وجهاد - من أجل حماية منهج الله والتمكين له في الأرض . ولعل هذا هو ما عناه الحق تبارك وتعالى حين قال : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٣) ،

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِلُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ، وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ

(١) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سورة الأنفال : ٣٩ .

(٤) سورة التوبة : ٤١ .

على مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
اجْتَبَاكُمْ ﴿٢﴾ إِلَىٰ غير ذلك من الآيات .

٨ - حفظ الهيبة والكرامة :

أي حفظ هيئته وحرمته وكرامته :
فلا يجرؤ الأعداء على إينائه أو التطاول عليه في دم أو مال أو عرض ، لأن له من جماعة المؤمنين ظهيراً ونصيراً ، وحتى لو
تجرأ هؤلاء فأذوه في دم أو مال أو عرض فإن إخوانه سينصفونه
وسيردّون له مظلمته على نحو ما حدث حين اعتدى يهود بني
قينقاع على حرمة امرأة مسلمة ، وإجلاء النبي ﷺ لهم ، وكما
حدث حين لطم الرومي المرأة المسلمة في عمورية ، واستحذت
بالخليفة المعتصم العباسي فجهز الخليفة جيشاً ضخماً آحره
عنده ، وأوله في عمورية لتأديب الروم على هذه الفعلة القبيحة .
هذا هو شأن المسلم حين يكون في جماعة ، أما إذا كان
وحده فإن الأعداء سيتربصون به اللواتر ، وسيكيلون له بكل
ما أوتوا من قوة ووسيلة .

(١) سورة التوبة : ١٤ : ١٥ .

(٢) سورة الحج : ٧٨ .

ولعل هذا هو السر في حرص الأعداء على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم إيماناً منهم بأن السيطرة عليهم والإدلال لهم وهب ثرواتهم وحيرات بلادهم كل ذلك لا يتم إلا في حو من الفرقة والشقاق ، ومن شعاراتهم في هذا الصدد (فَرَّقْ تَسُدْ) .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن ندرك الهدف من أمر الله عز وجل للجماعة المسلمة بالوحدة ونبذ الفرقة والتنازع : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (١) ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٣) .

٩ - فتح مجال الأجر والثواب :

أي فتح مجالات للأجر والثواب أمام المسلم : ذلك أن المسلم مع الجماعة يجد الفرصة أمامه سانحة لتحصيل مزيد من الأجر والثواب ، فهو يسلم على المؤمنين ، وينصح لهم ؛ ويلبي دعوتهم ، ويشمت عاطسهم ، ويعود مريضهم ، ويشيع ميتهم ، ويفقد غائبهم ، ويودّع مسافرهم ، ويستقبل

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٥ .

(٣) سورة الأنفال : ٤٦ .

قادمهم ، ويقرض محتاجهم ، ويفرج عن مكروبهم ، ويهدي لهم ، ويقبل هديتهم ، ويشير عليهم ، ويعلم جاهلهم ، ويتعلم من عالمهم ، .. الخ هذه المجالات المؤدية إلى الأجر والثواب ، أما إذا كان وحده فأنى له أن يقوم بشيء من ذلك ؟ والجبال أمامه مغلق أو مسدود .

١٠ - التأهل لتأييد الله :

أي استجلاب عون الله وتأييده ونصره ، ذلك أن المسلمين مهما كانت كثرتهم ومهما كانت ضخامة استعدادهم محتاجون إلى عون وتأييد من الله عز وجل ، خالق كل شيء والذي بيده الأمر كله ، لاسيما في هذا الوقت الذي ضربت فيه الجاهلية أطناها بكل مكان ، وأمسك أعداء الله بخناق العالم الإسلامي ، ولم يعد هناك متنفس أو منقذ ، وقد مضت سنة الله .. ألا ينتزل نصره دون توضيحات وتكاليف ، وأبسط هذه التكاليف وتلك التوضيحات : أن يجاهد المسلم نفسه وهواه .. وأن يكون مع الجماعة ، ينفذ ما تأمر به ، ويجتنب ما تنهى عنه .

ولقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى هذا المعنى حين قال : « يد الله مع الجماعة » (١) .

* * *

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : ٤ / ٤٦٦ رقم ٢١٦٦ من حديث

ج - الآثار السلبية للفردية والجماعية

أما إذا أهملت كل من الفردية والجماعية ، ولم تأخذ حظها من الرعاية والتربية ، بحيث قُتِلَتْ تماما أو تجاوزت حدّها ، فإنّها تؤدي للآثار السلبية الآتية :

١ - الانزواء أو العزلة :

الأثر السلبي الأول الذي ينشأ من بروز الجماعية وتلاشي الفردية ، إنما يكمن في الانقطاع أو البعد عن النَّاس ، وعدم مخالطتهم أو معاشتهم ، ذلك أن تلاشي الفردية يُصيب النَّفس بالضعف ، أو العجز ، وعدم القدرة على مواجهة أعباء الحياة مع الناس ، فإذا بها تلجؤ إلى الانزواء أو العزلة ، وكأن من ابتلى بهذا الانزواء أو بهذه العزلة يحاول ستر أو تغطية ما طرأ على شخصيته من ضعف أو عجز ، ناسيا أو متناسيا ما يترتب على ذلك من :

استمرار الأخطاء والتماذي فيها ، وفتح الباب أمام شياطين

= ابن عباس مرفوعًا به ، ثم عقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه » وأخرجه النسائي في السنن : كتاب تحريم الدم : باب قتل من فارق الجماعة ٧ / ٩٢ - ٩٣ من حديث عرفجة بن شرح الأشجعي مرفوعًا به .

الإنس والجنُّ ليلجوا منه ، ويعملوا عملهم في الإغواء والإضلال ، وإفساد الحياة ، هذا فضلا عن الحرمان من الخبرات والتجارب ، وسيطرة اليأس والقنوط ، والسأم والملل ، وانقطاع العون ، والتأييد الإلهي .

٢ - الكسل والخمول :

والأثر الثاني الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية إنما هو الكسل والخمول وهذا بدوره يؤدي إلى سيطرة أعداء الله ، وإمساكهم بالخناق ، على نحو ما هو واقع ومشاهد في كثير من بلاد المسلمين في العصر الحاضر ، والعجب أن هؤلاء الذين تلاشت الفردية عندهم حتى صاروا قاعدين أو كالقاعدين يحاولون فلسفة هذا القعود قائلين : « النَّاسُ عَلَى دِينِ مَلُوكِهِمْ » ، « دَعُ الْعِبَادَةَ فِيمَا أَرَادَ » ، إلى غير ذلك من هذه الشقشقات الفارغة .

٣ - السقوط أو التهاوي على أول الطريق :

والأثر الثالث الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية إنما هو السقوط أو التهاوي عند أول امتحان على الطريق ، نظرا لأن الفردية أو الذاتية ممَّا يُعِين على التماسك ، والصر ، والمصابرة ، لاسيما في أوقات الشدائد والمحن .

٤ - السكوت عن الحق :

والأثر الرابع الذي ينشأ من تلاشي الفردية ، وبروز الجماعة إنما هو رؤية الحق يعتدى عليه ويهان ، ثم إيثار السكوت والصمت ، والساكت عن الحق شيطان أخرس لأنه يفسح المجال أمام الباطل ليغرس بذور الشر والفساد ، ثم يتعهدهما حتى توتّي ثمارها المرّة ، وتأسن الحياة .

٥ - الطاعة العمياء :

والأثر الخامس الذي يترتب على تلاشي الفردية ، وبروز الجماعة إنما هو الطاعة العمياء ، التي لا تفرّق بين حق ، وباطل ، طاعة ، ومعصية ، الأمر الذي يفسح المجال لظهور التسلط ، والقهر ، والاستبداد ، والدكتاتوريات .

٦ - التسلط والاستبداد :

وهذا الأثر ينشأ من بروز الفردية إلى حدّ الأثرة والأنانية ، والإعجاب ثم الغرور والتكبر ، ثم ترجمة هذا التكبر في صورة القهر والاستبداد والتسلط الأمر الذي ينشر في الأرض الفساد ، ويأتي على الأخضر واليابس ، ويمزق وحدة الصف ، وصدق الله العظيم الذي يقول :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُجُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ

علي ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض
لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، والله لا يُحِبُّ الْفُسَادَ ،
وإذا قيل له اتقِ الله أَخَذْتَهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ ، فحسبه جهنمَ ولِبئسَ
المِهَادُ ﴿١﴾ .

تلکم هي الآثار السلبية لكل من الفردية والجماعية ، وقد أشار
الأستاذ محمد قطب إلى الأثرين الأول والأخير من هذه الآثار
قائلا :

« الإنسان الذي لا شخصية له في ذاته ، ولا وجود ، لا
ينشئ إلا مجتمعا مستضعفا خانعا يصلح لأن يحكمه « فرد »
متسلط دكتاتور ! ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور ،
والإنسان الذي تبرز شخصيته - بانحراف - إلى حدِّ الأنانية
المرذولة أو الطغيان ، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة
ولا بدُّ أن يتشتت المجتمع ، ويقول إلى البوار » (٢) .

(١) سورة البقرة : ٤ - ٢٠٦ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٣ .

الفصل الثالث الفردية والجماعية بين المذاهب الأرضية وبين الإسلام

قدمنا أن لكل من الفردية والجماعية آثارا إيجابية وأخرى سلبية على كيان المسلم وفي واقع الحياة ، وأن مردُّ هذه الآثار إلى منهج التربية ، فإن كان المنهج صحيحا مستقيما ، كانت الآثار الإيجابية ، وكان الانسجام والتوافق ، وإن كان المنهج معوجًا غير صحيح كانت الآثار السلبية وكان الخلل والاضطراب .

ولما كان منهج التربية في كل أمة نابعا من عقيدتها ، وفلسفتها فإننا بحاجة إلى أن نعرض هنا نظرة كل من المذاهب الأرضية ، والإسلام للفردية والجماعية ، ليستبين لنا بجلاء ووضوح أيّ المذاهب أو أيّ العقائد والفلسفات نعتمد في هذه التربية ، وإليك أبعاد ومعالم هذه النظرة .

أ - الفردية والجماعية في نظر المذاهب الأرضية :

تنظر المذاهب الأرضية للفردية والجماعية نظرة فيها غلوٌ وشطط ، فإمّا أن تميل إلى هذا الجانب أو ذاك ، وقد ترتّب على هذا الميل ما نشاهده وما نسمعه عن الإنسان في كل أنحاء المعمورة اليوم ، من ضيق وقلق واضطراب نفسي ، بل ومن ذلّ وهوانٍ واستعبادٍ .

ولعلّ هذا الغلو وذلك الشطط ناعان من أن هذه المذاهب من وضع بشر ، وأنّ البشر مهما نبغوا في العلم ، ومهما اخترعوا وابتكروا فإنهم عاجزون عن الغوص في داخل النفس البشرية ومعرفة حقيقة ما تطوي عليه من أسرار وعجائب .

وما أروع ما كتبه الأستاذ محمد قطب تصويراً لهذه النظرة إذ يقول - وهو بصدد الحديث عن الفردية والجماعية :

« ولقد اضطربت كثير من النظم وكثير من الفلسفات بين هذه النزعة وتلك . بعضها يوسع دائرة الفردية حتى تصل إلى الأنانية المرذولة ، وتفكيك روابط المجتمع ، وتشتت طاقاته . وبعضها يوسع الدائرة الجماعية حتى تقضي على كيان الفرد وتكاد تلغي وجوده ، إذ تعتبره ذرة ضعيلة تافهة لا يستمد كيانه إلا بوصفه فرداً في القطيع .

ونحن نرى في هذه اللحظة على وجه الأرض مذهبين متنافرين ، كل منهما يقوم على اتجاه .

الرأسمالية في الغرب قائمة على أساس فردية الإنسان ، فتوسع له في حدود فرديته ، وترك له حرية التصرف في كثير من الأمر ، حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين ، فلا تخرج على نشاطه الزائد عن الحد ، ولا تفقه عند حد معقول . يطلق لنفسه عنان الشهوات والأهواء .. ويحطم الأخلاق والتقاليد .. ولا يعترف بحق أحد في توجيهه وضبط تصرفاته .. ويحول أمواله إلى أداة لاستغلال الآخرين ، وامتناص جهدهم ودمائهم وتحويلها إلى ترف فاجر ومتاع حسي غليظ .. ويفسد سياسة الحكم وسياسة المجتمع ، ويفسد تصور الناس للحياة .. ومع ذلك فهو يمارس « حرите الشخصية » وليس لأحد عليه سلطان !

والشيوعية في الشرق قائمة على أساس جماعية الإنسان . فتوسع في دائرة الجماعة - أو في الحقيقة الدولة - وتخرج على كل نشاط للأفراد - اللهم إلا نشاطهم الحسي الغليظ فتتركه لهم مباحاً للتفيس عن الطاقة المكبوتة ! - فتمنع اشتراك الناس الفعلي في سياسة الحكم وسياسة المجتمع ، وتفرض عليهم النظم والترتيبات بحجة أنها أعرف منهم بمصالحهم . فتعين لهم أعمالهم ، وأماكن إقامتهم ، كما تعين لهم أفكارهم ومشاعرهم وطريقة إحساسهم .. بالأمر . ولا تترك لهم سبيلاً للاختيار . وتحكمهم بالحديد والنار والتجسس ، وتعتبر كل نصيحة للدولة أو القائم عليها خيانة تعاقب « بالتطهير » لأنها نزعة

فردية آتمة ، موجهة ضد كيان الجماعة المقدس ، من فرد لا قداسة له في ذاته ولا كيان !

والفلسفات كذلك تخبطت كثيراً في هذه الأمور . ولم يستطع كثير منها أن يخلُصَ إلى حقيقةً بديهيةً بسيطةً ، يؤيدها الواقع المشهود .

إن هذه الفلسفات تفترض أنه إذا كان الإنسان فردي النزعة فالمجتمع إذن مفروض عليه من خارج نفسه متحكم فيه بغير إرادته ، ضاغط على كيانه ، محطم لشخصيته ، ومن ثم فهو مكروه .. وتفتيته وتفكيكه حلال !

أو .. أن النزعة الجماعية هي الأصل . فالطفل يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة .. ولا كيان .. ولولا وجوده في الجماعة ما استطاع أن ينمو وأن يعيش .. وهو في حاجة دائمة للجماعة لكي يستمر في وجوده . وإذن فالنزعة الفردية رجس ينبغي أن يقاوم .. ينبغي أن تسحق هذه الرغبة وأن تُزال !

لماذا ؟

إن هذه الفلسفات لا تنتبه إلى الطبيعة المزدوجة في هذا الكائن البشري . التي تلبو متناقضة حين ينظر إليها من السطح . ولكنها مع ذلك مترابطة . وهي تؤدي مهمتها في حياة الكائن البشري بتناقضها ذلك وترابطها . كما يؤدي مهمته

الحُبُّ والكراهة ، والرجاء والخوف ، والسلبية والإيجابية ، والحسنة والمعنوية ، والإيمان بالواقع والإيمان بما وراء الواقع .. ويخرج لنا في النهاية مخلوق متعدد الجوانب موحد الكيان !» (١) .

ب - الفردية والجماعية في نظر الإسلام :

وتختلف نظرة الإسلام إلى الفردية والجماعية عن نظرة هذه المذاهب الأرضية التي قدمنا ، إذ ينظر الإسلام إلى كلِّ واحدة منهما على أنَّها أمر فطري في تكوين الإنسان ، بل وعلى أنَّها أصيل وأساسي في بنيته ، ومن هذا المنطلق يحرص كل الحرص على صيانتها والحفاظة عليها مع محاولة التوفيق والانسجام بينها وبين تلك التي تقابلها ، فلا خلل ولا اضطراب لا من داخل النَّفس ، ولا في واقع الحياة ، ولم لا يكون ذلك والإسلام حكماً لله للإنسان الذي هو صنعة الله ؟ ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (٢) ، ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣) .

يقول الأستاذ محمد قطب :

« والإسلام يوفق بقدر ما في طاقة البشر بين النزعتين

(١) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

الأصيلتين المتناقضتين في الظاهر ، إنَّه بادئ دئ بدء لا يعتبر إحداهما أصيلة ، وغيرها دخيل ، ولا يعتبر أن تغذية إحداهما تعني بالضرورة الإساءة إلى الأخرى أو إسقاطها من الحساب .

والإسلام دين الفطرة ، وهذه فطرة الإنسان : فرد داخل في المجموع ، أصيل الفردية ، أصيل في الميل للمجموع ، وهو دائم التقلب بين نزعتيه المتناقضتين ، كما يتقلب في نومه من جنب إلى جنب ليستريح !

ولكنَّه في كلِّ لحظة شامل لجنبيه معا على اختلاف في النسبة والمقدار .

والإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معاً ، ويجعلهما متساندتين بدلا من أن تكونا متنازعتين !! إنَّه يحتاج إليهما معا ، لأنَّ الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى ، ولذلك لا يكبت أيُّ مهما ، ولا يربلها عن الوجود ، إن كان في استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود «(١)» .

ونستطيع بعد هذه الموارنة أو هذه المقارنة أن نؤكد واثقين مطمئنين أن الإسلام والإسلام وحده هو المنهج الفريد الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر لاسيما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية .

(١) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٤ .

الفصل الرابع منهج الإسلام في تربية الفردية والجماعية

وما دام الإسلام هو المنهج الفريد الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر لاسيما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية ، فإننا سنعرض الآن السبل أو الأساليب التي يسلكها لإنشاء وتنمية الفردية والجماعية في كيان المسلم وفي واقع الحياة . وإليك هذه السبل وتلك الأساليب .

أ - منهج الإسلام في تربية الفردية :

ويتلخص هذا المنهج فيما يأتي :

١ - تعريف الإنسان بكرم أصله وطيب معدنه :

وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن تكريم الله لآدم : ككون الحق - سبحانه - خلقه بيديه ، ثم سواه ، ونفخ فيه من روحه : ﴿الذي أحسن كلَّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء

مهيين ، ثم سَوَّاهُ ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السَّمْع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴿١﴾ وككونه علَّمه الأسماء كُلَّها ، ثم أسجد الملائكة له ، ﴿٢﴾ وعلَّم آدم الأسماء كُلَّها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿٣﴾ وككونه اجتباها واصطفاه بالنبوة والرسالة على العالمين : ﴿٤﴾ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿٥﴾ .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنه سليل بيت كريم ومعدن طيب ولدت هذه المعرفة في نفسه كيانا مستقلا قائما بذاته بل حملته على حفظه وصيانتته لئلا يدنس هذا الأصل ، أو يفسد ذلك المعدن .

(١) سورة السجدة : ٧ - ٩ .

(٢) سورة البقرة : ٣١ - ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٣٣ .

٢ - تعريف الإنسان بعدوّه الأكبر :

وذلك من خلال النصوص التي تذكر قصة آدم وإسكانه مع زوجته الجنة وإغواء الشيطان لهما حتى أخرجهما منها : ﴿ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما وُرى عنهما من سوءاتهما ، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ، فدلّاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداها ربّهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (١) .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أن أصله حيكت ضده المؤامرات والمكائد حتى حوّلت حياته من راحة إلى تعب ، بل إن هذه المؤامرات لا تزال تحاك ضده ، إذا عرف ذلك ؛ أنشأت هذه المعرفة في نفسه كيانا مستقلا قائما بذاته ، بل حملته على القصاص والثأر لأصله من هذا العدو وأقل شيء في هذا

(١) سورة الأعراف : ١٩ - ٢٤ .

القصاص مخالفته أو معصيته وعدم اتباع خطواته وهو ما أرشد إليه المولى صراحة إذ يقول :

﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾^(١) ، ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾^(٢) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾^(٣) .

٣ - تعريف الإنسان بمنزله ومكانته في هذا الكون :

وذلك من خلال التصوص التي تتحدث عن صلة الإنسان بربه ، وبياني الموجودات في هذا الكون ، كقوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾^(٤) ، ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾^(٥) ، ﴿ هو أنشأكم من الأرض ، واستعمركم

(١) سورة الأعراف : ٢٧ .

(٢) سورة فاطر : ٥ - ٦ .

(٣) سورة النور : ٢١ .

(٤) سورة البقرة : ٣٠ .

(٥) سورة فاطر : ٣٩ .

فيها ﴿ (١) ، ﴿ وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ﴿ (٢) ،
 ﴿ وسعَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا
 منه ﴿ (٣) ، ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البرِّ
 والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن
 خلقنا تفضيلا ﴿ (٤) .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنه خلق للسيادة في هذا الكون
 في ظلّ العبودية التامة لله ربّ العالمين . ولّد ذلك في نفسه
 شعورا خاصا ، بأنّه كيان مستقل له مكانته ومنزلته في هذا
 الوجود ، بل وحمله على المحافظة على هذا الكيان مهما تكن
 ضخامة الثمن .

٤ - ربط القلب البشريّ بالله :

وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن نعمة الله على
 العباد ، وحقه عليهم :
 ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
 لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء
 بناءً ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ،

(١) سورة هود : ٦١ .

(٢) سورة النازيات : ٥٦ .

(٣) سورة الجاثية : ١٣ .

(٤) سورة الإسراء : ٧٠ .

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴿١﴾ ، ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ، قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ، وهو يُطعمُ ولا يُطعمُ ، قل إنني أمرتُ أن أكون أولَ مَنْ أسلم ولا تكوننَّ من المشركين ، قل إنني أخاف إن عصيتُ ربِّي عذاب يوم عظيم ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ وإن هذه أمتكم أمةٌ واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم .. ﴾ ﴿٥﴾ بل من خلال فرض طائفة من العبادات : كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وقراءة القرآن ، والذكر والدعاء والاستغفار كحقِّ الله على العباد ، يقول النبي ﷺ لمعاذ : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ » قال : قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وحقُّ العباد على الله — عزَّ وجلَّ — ألا يعذب مَنْ لا يشرك به شيئاً ... ﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة البقرة : ٢١ - ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام : ١٣ - ١٥ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٢ .

(٤) سورة الحجر : ٩٩ .

(٥) سورة الزمر : ١٠ .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح كتاب الإيمان : باب الدليل على أن =

ذلك أن الإنسان إذا أدرك نعمة ربّه التي تغمره من أعلأ إلى أدنى ، وحقّه عليه انقلبَ يعبد ربّه حتى تنسيه هذه العبودية كلّ شيء في هذا الوجود إلا نفسه ، وربّه .
أجل : إن هذا الإدراك ، وما يتبعه من العبودية لله ليملأ قلب الإنسان بشحنة إيمانية تصيرُه فردا إيجابيا له كيانه الخاص ، وذاتيته المستقلة .
يقول الأستاذ محمد قطب :

فأما الفردية .. الشخصية الاستقلالية .. الكيان الإيجابي القوي .. فينشئه الإسلام بربط القلب البشري بالله !

إن الإنسان ليتصل بربه .. فرداً !
هذه الصلة العميقة الوثيقة الساربة في أعماق النفس هي عند كل إنسان صلته الشخصية الفردية بالله !

وإن الإنسان ليستغرق أحياناً في العبادة لله ويستغرق في الحب ، إلى حد أن ينسى كل شيء في الوجود غيره هو وغير الله ! ويخيّل إليه في لحظة الاستغراق العميقة أن الوجود كله قد شف وراق .. ثم خلا من كل شيء ومن كل أحد ، إلا قلبه الخافق ... والشعاع النوراني الذي يصل قلبه بالله !

= من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١ / ٥٨ - ٥٩ رقم ٤٩ من حديث معاذ مرفوعاً به ، وزاد في آخره قال : قلت يا رسول الله : أفلا أبشُرُ الناس ؟ قال : لا تبشروهم فيتكلوا .

في لحظة الاستغراق هذه يمتلئ الإنسان بالشحنة التي توجهه في الحياة .. توجهه فرداً إيجابياً له كيان .. وإنها لتمنحه قوة عجيبة إزاء كل أحد وكل شيء وكل حدث . إنه يحس أنه يحمل تلك القبسة النورانية المقدسة^(١) .. القبسة التي احتملها كيان الإنسان الأول الذي خلقه الله من طين الأرض ونفخ فيه من روحه . ومن ثم فهو قوي فعال مرید متصرف .. فهو لا يخضع لغير الحق الذي أنزله الله . ولا يرضى بأن يخضع ويستسلم ويصبح سلبياً إزاء ما حوله من قيم أو أشخاص أو قوة مادية : لأنه يحس وجوده الفردي ذلك المشحون بتلك القبسة من الله ، متكافئاً لهذه القوى جميعها ، بل مستعياً عليها في داخل نفسه ولو هزمت قوته المادية المحلودة فترة من الزمان !

ولهذا السبب ذاته تكره الدكتاتوريات الأديان ! إنها من ناحية لا تطيق أن يكون الولاء لأحد غير الدكتاتور ! ومن ناحية أخرى لا تطيق أن يكون الولاء لله بالذات ، لأن هذا الولاء لله هو الذي يؤلب البشر على الطغاة ويحفزهم أن يقفوا لطغيانهم بالمرصاد ، و « من رأى منكم منكراً فليغيره .. » !

هذه الصلة الفردية الشخصية بالله هي التي تمنح الإنسان وجوده المستقل ، فلا يَنْبَهُم ولا يَضِيع في القطيع^(٢) .

(١) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٥ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٥ - ١٦٦ .

٥ - التحذير من انمياح الشخصية :

وذلك بواسطة ذم التقليد الأعمى الذي لا دليل عليه يقوّيه ، ولا برهان يعضده : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ، ولا يهتدون ﴾ (١) ، ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ (٢) . بل برفض التبعية المطلقة صراحة نظرا لأنها تؤدي إلى تلاشي الشخصية تماما .
يقول النبي ﷺ :

« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (٣) ،
« لا تكونوا إمّعة ، تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنّوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » (٤) .

(١) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٢٢ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمرء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣ / ١٤٦٩ رقم ١٨٣٩ من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في الإحسان والعفو ٤ / ٣٦٤ رقم ٢٠٠٧ من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي عن حذيفة مرفوعا به ثم عقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هنا الوجه » .

٦ - إزماءه بالتكاليف الشرعية لاسيما النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إذ يقول النبي ﷺ :

« الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(١) ، « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مِنْكُمْ مَنْكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »^(٢) .

وهذه السبيل واضحة ، ذلك أن التكليف بأبي من المهام لاسيما إذا كان الأمر أمر تعديل للأوضاع المقلوبة يعني أن المكلف صار محل ثقة واهتمام ، وأنه كفؤ للقيام بمثل هذه الواجبات وأبى لإنسان عاقل استشعر ذلك أن يرجع عنه أو أن يضيقه .

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة ١ / ٧٤ رقم ٩٥ من حديث تميم الداري - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١ / ٦٩ رقم ٧٨ من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

٧ - إشعار الإنسان بالمسئولية التامة عن جميع الأعمال :

وذلك من خلال النصوص التي تلقى بمسئولية كل إنسان عن عمله ، فلا هو بالذي يستطيع أن يلقي بحمله على غيره ، ولا هو بالذي يستطيع أن يتلقى على كتفه أحمال الآخرين . ﴿ وكل إنسان أزمانه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (١) ، ﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ (٢) ، ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا تزوروا زورا أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قرنى ﴾ (٤) ، ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٥) ، ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ﴾ (٦) .

ولئما تؤدي هذه السبيل إلى تربية الفردية عند الإنسان ، نظرا

(١) سورة الإسراء : ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ .

(٣) سورة لقمان : ٣٣ .

(٤) سورة فاطر : ١٨ .

(٥) سورة المدثر : ٣٨ .

(٦) سورة القيامة : ١٤ - ١٥ .

لأن الإنسان إذا استشعر هذه المسئولية الفردية دائما ، ولّد هذا الاستشعار في نفسه كيانا مستقلا ، بل جعل أعصابه صاحبة منتبهة لكل ما يمسه ولو من بعيد .

٨ - ضرورة منح الفرد فترات حرّة يدبّر فيها شئونه الخاصة :

إذ الإسلام يقدر أن لكل فرد شئونه الخاصة به ، والتي تختلف عن شئون غيره ، لذا فهو لا يهملها ولا يتكبر لها ، بل يسعى لإشباعها وتليتها ، وذلك عن طريق منح هذا الفرد فترات حرّة يدبّر فيها شئونه الخاصة من الصلاة ، والذكر ، والدعاء ، وقراءة القرآن ، وأداء حقّ أهله ، وولده ، وأضيافه ، وأرحامه ، والترويح عن نفسه ، الخ هذه الشئون وقد لفت الإسلام النَّظر إلى ذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

(١) سورة النور . ٦٢ .

٩ - دعوة الإنسان صراحة إلى الاعتزاز بالنفس :

ولا يكفي الإسلام بمجموع السبل أو الأساليب التي قدمنا في تربية الفردية بل يدعو إلى ذلك صراحة ، فيقول النبي ﷺ « لا يحقر أحدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله - عز وجل - له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى » (١) .

تلکم أهم الأساليب أو السبل التي يستخدمها الإسلام في تربية الفردية ، وترسيخها في النفس .

ب - منهج الإسلام في تربية الجماعية :

وكما يحدد الإسلام السبل أو الأساليب اللازمة لإنشاء وتنمية الفردية عند الإنسان فإنه كذلك يحدد السبل أو الأساليب اللازمة لإنشاء وتنمية الجماعية ، ويمكن تلخيصها فيما يأتي :

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة : في السنن : كتاب الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢ / ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨ من حديث أبي البخري عن أبي سعيد مرفوعا به ، وأورده البوصيري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٤ / ١٨٢ - ١٨٣ وعقب عليه بقوله : « هذا إسناد صحيح .. رواه أبو داؤد الطيالسي في مسنده .. ورواه البيهقي في الكبرى .. ورواه أحمد بن منيع .. ورواه عبد بن حميد في مسنده » .

١ - التأكيد على الجماعية في الشعائر التعبدية :

ذلك أن هناك طائفة من التشريعات - وأعنى بها الشعائر التعبدية - يمكن أن تقع بصورة فردية ، بيد أن الإسلام أكد فيها على معنى الجماعية ، بل وشدّد في ذلك ، فالصلاة مثلا يقول عنها النبي ﷺ :

« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »^(١) ، وفي رواية : « بخمس وعشرين درجة »^(٢) ، « ولقد هممتُ أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حُزْمٌ من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار »^(٣) ، والصيام مشاركة جماعية ومساواة في الجوع في فترة معيّنة من

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ / ٤٥٠ رقم ٦٥٠ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ / ٤٥٠ رقم ٦٤٩ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا بلفظ : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ / ٤٥١ - ٤٥٢ رقم ٦٥١ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .

الوقت ، تبدأ من طلوع الفجر إلى غياب الشمس طوال شهر معين هو شهر رمضان ، لا يصح التقدم أو التأخر عليها ، يقول النبي ﷺ : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون .. » (١) والحج ملتقى عام للمسلمين جميعا كل عام ، يجتمعون من كل أطراف الأرض على أقدس غاية وفي يوم واحد هو يوم عرفة ، ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (٢) وتعلم العلم وتعليمه لا يبارك إلا بالجماعية ، « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٣) .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الصوم : باب ما جاء الصوم يوم تصومون ٣ / ٨٠ رقم ٦٩٧ ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الصيام : باب ما جاء في شهري العيد ١ / ٥٣١ رقم ١٦٦٠ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به ، واللفظ للترمذي ، ثم عقب عليه الترمذي بقوله : « هذا حديث حسن غريب وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال : إنما معنى هذا : أن الصوم والفطر مع الجماعة ، وعظم الناس » .
(٢) سورة الحج : ٢٧ - ٢٨ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داؤد في : السنن : كتاب الصلاة : باب في ثواب قراءة القرآن ٢ / ٧١ رقم ١٤٥٥ ، وابن ماجه في : السنن المقدمه : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨٢ رقم ٢٢٥ على أنه قطعة من حديث طويل ، كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به ، واللفظ لأبي داؤد .

وقل مثل ذلك في صلاة الجمعة ، والعيدين ، والاستسقاء ،
والكسوف ، والخسوف ونحوها .

وعليه ، فإنه إذا كانت الجماعية مؤكدة ولازمة في
التشريعات التي يمكن أن تقع بصورة فردية ، فإنها تكون -
من باب أولى - أشدّ تأكيداً ، وأكثر إلزاماً في تلك التي لا تقع
ولا تتم كاملة إلا بالجماعية ، كالدعوة ، والتربية ، والجهاد ،
وعماره هذا الكون والسيادة فيه .

٢ - التذكير بأن الجماعية منهج أعداء الله في مقاومة الحق :

إذ يقول الحق - سبحانه - :

﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾^(١) ، ﴿ المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض ﴾^(٢) ، ﴿ بعضهم أولياء بعض ،
ومن يتولّهم منكم فإنه منهم ﴾^(٣) .
ولقد صدّق الواقع ذلك لاسيما في هذا العصر .

فإننا نرى هؤلاء يحشدون ، ويجمعون ، ويتعاونون فيما بينهم
في شكل أحلاف عسكرية (حلف وارسو - حلف

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .

(٢) سورة التوبة : ٦٧ .

(٣) سورة المائدة : ٥١ .

الأطلنطي) ، وفي شكل أسواق تجارية : (السوق الأوربية المشتركة) ، وفي شكل برلمانات ، وهيئات سياسية : (البرلمان الأوربي) وفي شكل اتحادات جمهورية (جمهوريات الاتحاد السوفيتي) وولاياتية : (الولايات المتحدة الأمريكية) .

كل هذا من أجل السيطرة على ديار المسلمين لابتزاز ثرواتهم ، وخيراتهم ، وإذلالهم ، واضطرارهم إلى الكفر أو القتل : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ، ولا النصارى حتى تتبّع ملّتهم ﴾ (١) ، ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (٢) ، ﴿ إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملّتهم ، ولن تفلحوا إذا أبدا ﴾ (٣) ، ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودّوا لو تكفروا ﴾ (٤) .

وكأنّ القرآن بحكاية مواقف الكفار هذه يلفت نظرنا - نحن المسلمين - إلى أن الردّ العملي على هؤلاء أن يلزم المسلم إخوانه ، فتكون لهم بذلك قوّة قادرة على مواجهة الكفر

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٣) سورة الكهف : ٢٠ .

(٤) سورة الممتحنة : ٢ .

والإلحاد ، وكبح جماحهم ، وإزاحتهم ، وإخلائهم من طريق
 البشر ليعيشوا أحراراً ، وقد نصَّ الحق صراحة على هذه اللفتة
 قائلاً : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض ، وفسادٌ
 كبير ﴾ (١) ، ﴿ وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم
 كافةً ﴾ (٢) .

٣ - التذكير بأن الجماعة سنة كونية :

إذ يذكر الله - عزَّ وجلَّ - لنا في كتابه أن هناك ترابطاً بين
 كثير من الظواهر الكونية الليل والنَّهار ، والشمس والقمر ،
 وغيرها من المجموعة الشمسية من بين هذه الظواهر إذ يقول الله
 عزَّ وجلَّ : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، فإذا هم
 مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز
 العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا
 الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ،
 وكلُّ في فلك يسبحون ﴾ (٣) ،

والدوابُّ على اختلاف أنواعها ، والطيور على اختلاف
 أشكالها ، كلُّ مجموعة منها تتعاون فيما بينها ، لتحقيق المهمة

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .

(٢) سورة التوبة : ٣٦ .

(٣) سورة يس : ٣٧ - ٤٠ .

التي خلقت لها ، قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ﴾ (١) ، وقد أكّد الواقع ذلك ، فجماعة النحل مثلا تتعاون فيما بينها ، طائفة تبنى البيوت ، وثانية تقوم على تنظيفها ، وثالثة تقوم على توفير الحماية لها ، ورابعة تسرح لتمتص رحيق الأزهار ، ولتخرجه في النهاية عسلا مصفى فيه شفاء للناس ، ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل ، وباقي المخلوقات .

الأمر الذي حدا بالشاعر أن يقول :

النمل تبني قراها من تماسكها

والنحل تجني رحيق الشهد أعوانا

وحين تُذكر هذه السنّة الكونية في كتاب الله - عزّ وجلّ - فإن المقصود من ذكرها أن يفهم الإنسان أنّه ليس بدعا من المخلوقات ، وإنّما هو واحد منها تقوم حياته - بضرورياتها ، وكإلياتها - على معنى التعاون والتآزر ، كما قال القائل :

الناس للناس من بلو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدّم

(١) سورة الأعمام : ٣٨ .

٤ - تقرير مبدأ الأخوة بين الناس :

فالناس جميعا لتناسلهم من أب واحد وأم واحدة إخوة في النسب « أنا شهيدٌ أن العباد كلَّهم إخوة » (١) ، والمؤمنون لرجوعهم إلى ربِّ واحد ، ومنهج واحد إخوة في الدين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢) .

وهذه الأخوة لها حقوق وواجبات ، تعود في جملتها إلى كلِّ ما يحقق التعاون والتآزر والوحدة ، وقد ذكر القرآن الكريم طرفا منها في سورة الحجرات يبدأ من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا .. إلى قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) . كما ذكر النبي ﷺ طرفاً منها ، إذ يقول : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَلَا تَحَاسَلُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أبو داؤد في : السنن : كتاب الصلاة : باب ما يقول الرجل إذا سلَّم ٢ / ٨٣ رقم ١٥٠٨ من حديث زيد بن أرقم مرفوعا ٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١٠ .

(٣) سورة الحجرات : ٦ - ١٣ .

تدابروا ، وكونوا عبادَ الله إخوانا » (١) .
« حَقُّ المسلم على المسلم سِتٌّ ، قيل : ما هنَّ يا رسول الله ؟
قال : « إذا لقيته فسَلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجِبْه ، وإذا
استنصحك فانصَح له ، وإذا عطس فحمد الله فشَمِّتْهُ ، وإذا
مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » (٢) . « أمرنا رسول الله ﷺ
بسبع ، ونهانا عن سبع : أمرنا باتِّباع الجنائز ، وعبادة
المريض ، وإجابة الداعي ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم ،
وردِّ السَّلَام ، وتشميت العاطس ، ونهانا عن آنية الفضة ،
وخاتم الذهب والديباج ، والقسيِّ ، والإستبرق » (٣) .

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البرِّ والصلة والآداب : باب
تحريم الظَّنِّ ، والثَّجُّس / ٤ / ١٩٨٥ رقم ٢٥٦٣ من حديث أبي هريرة - رضي الله
تعالى عنه - مرفوعاً به ، وبنحوه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب السلام : باب من حَقَّ
المسلم على المسلم ردُّ السلام / ٤ / ١٧٠٥ رقم ٥ من حديث أبي هريرة - رضي الله
تعالى عنه - مرفوعاً به وبنحوه .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجنائز : باب الأمر باتِّباع
الجنائز ٢ / ٩٠ ، وكتاب المظالم : باب نصر المظلوم ٣ / ١٦٨ - ١٦٩ ، وكتاب
النكاح : باب حَقِّ إجابة الوليمة والدعوة ٧ / ٣١ - ٣٢ ، وكتاب الأشربة : باب آنية
الفضَّة ٧ / ١٤٦ - ١٤٧ ، وكتاب المرضى : باب وجوب عبادة المريض
٧ / ١٥٠ ، وكتاب اللباس : باب الميثة ٧ / ١٩٧ - ١٩٨ ، وكتاب الأدب :
باب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى ٨ / ٦١ ، وكتاب الاستئذان : باب إفشاء
السَّلَام ٨ / ٦٤ - ٦٥ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب اللباس والثَّيْبَة : باب تحريم
استعمال إناء الذهب والفضَّة ٣ / ١٦٣٥ - ١٦٣٦ رقم ٢٠٦٦ كلاهما من حديث
البراء بن عازب - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، وبنحوه ، واللفظ للبخاري .

٥ - التأكيد على المسئولية الجماعية :

وذلك من خلال الخطاب الجماعي ، والتوجهات الجماعية كقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) ، ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (٢) ، ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (٣) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجلاو فيكم غلظة ﴾ (٤) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٥) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ (٦) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٢٥ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٣ .

(٥) سورة محمد : ٧ .

(٦) سورة الحجرات : ٦ .

ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴿١﴾ .

٦ - الحَضُّ على الجماعة حتى في الشئون العادية من الحياة :

وذلك مثل : السفر ، والمبيت ، والطعام ، وسائر العادات ، إذ يقول ﷺ :

« لو يعلم الناس ما في الوحدة لم يسر راكب بليل وحده أبدا » (٢) ، و « نهى ﷺ عن الوحدة : أن يبيت الرجل وحده ، أو يسافر وحده » (٣) ، وشكا إليه بعض أصحابه قائلين : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلمكم تأكلون متفرقين » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه » (٤) .

(١) سورة الصف : ١٠ - ١١ .

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في : السنن : كتاب الاستئذان : باب إن الواحد في السفر شيطان ٢ / ٢٨٩ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٢ / ٩١ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الأطعمة : باب الاجتماع على الطعام ٢ / ١٠٩٣ رقم ٣٢٨٦ من حديث وحشي بن حرب - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .

الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴿١﴾ ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴿٢﴾ ويقول النبي ﷺ : « ... وإيّاكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ﴾ (٣) « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ (٤) « ... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .. » (٥) « من أراد بمجوحة الجنة فيلزم الجماعة ﴾ (٦)

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٢) سورة الروم : ٣١ - ٣٢ .

(٣) الحديث سبق تخريجه .

(٤) الحديث أخرجه أبو داؤد في : السنن : كتاب السنّة : باب في قتل الخوارج ٤ / ٢٤١ رقم ٤٧٥٨ من حديث أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به ، وأخرج البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب قول النبي ﷺ - سترون بعدي أمورا تنكرونها ٩ / ٥٩ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٦ - ١٤٧٨ من حديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، وجندب بن عبد الله البجلي ، وابن عمر - رضي الله تعالى عنهم - مرفوعا بنحوه .

(٥) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩ / ٦٥ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٥ رقم ١٨٤٧ كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .
(٦) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ بتحقيق الشيخ : أحمد شاكر بنحوه .

« يد الله مع الجماعة » (١) .. وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني
 بهن : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل
 الله فإن من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ريقه الإسلام
 من عنقه إلى أن يرجع .. قالوا يا رسول الله : وإن صلتني
 وصام ؟ قال : وإن صام . وصلتني وزعم أنه مسلم » (٢) « وإن
 الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية ،
 والناحية وإيأكم والشعاب وعليكم بالجماعة ، والعامّة » (٣) ..
 إلى غير ذلك من التّصوُّص التي تدل دلالة قطعية - لا تحتمل
 تأويلاً - على فرضية لزوم الجماعة ، والتي تؤكد أن البعد ،
 والتفرد ، والعزلة هذه كلها تعني : الشتات ، والذلل ، والهوان
 في الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة .

(١) الحديث سبق تحفيجه .

(٢) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٢٠٢ من

حديث الحارث الأشعري مرفوعاً به .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٢٤٣ من حديث معاذ بن جبل

رضي الله عنه - مرفوعاً به .

الفصل الخامس

منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية

انتهى بنا الحديث فيما مضى إلى أن الإسلام ينظر إلى كل من الفردية والجماعية على أنها أمر فطري وأصيل عند الإنسان لا يصحُّ الثُّور منه ، ولا تجوز محاربته ، ولذلك يفرض فرضا ويوجب وجوبا أن يلقي الإنسان بنفسه بين أحضان الجماعة ، وألا ينسلخ عنها لحظة من اللحظات ولو كان هناك كدر أو منغصات ، إذ يقول سيدنا عليٌّ - رضي الله تعالى عنه - :
« كدر الجماعة خير من صفو الفرقة »^(١) .

والإسلام بهذا يشبع جانبا فطريا عند الإنسان ألا وهو الميل إلى مخالطة الجماعة والعيش معها ، ومعايشتها ، لكنّه في نفس

(١) الامثال والحكم لأبي الحسن الموردي ص ١٨٥ .

الوقت يحتفظ للإنسان بفرديته ويحرص حرصا شديدا ، ألاّ تخدش هذه الفردية مهما تكن الأسباب والمبررات ، وله في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية ، منهج فريد يمكن تلخيصه فيما يأتي :

١ - الفهم أو الوعي :

والمراد به أن يفهم الفرد ، ضرورة الجماعة وأهميتها في حياته ، وضوابط العمل معها ، وأثر سلوكياته على وجودها ونجاحها ، هذا من ناحية .

فإن هذا الفهم يجعله حريصا على لزومها ، وعدم التخلّي عنها ، مهما تكن الظروف والملابسات وهو كذلك يحمله على الالتزام بضوابط العمل معها ، وبذل أقصى ما في وسعه وما في طاقته ، ليبقى لها الاستمرار ، ولتحقق لها النجاح .
ومن ناحية أخرى أن تفهم الجماعة ، منزلة ومكانة الفرد فيها ، وحقوقه عليها ، وأثر تمكينه من نيل هذه الحقوق .

فإن هذا الفهم يحملها على أن تحرص على هذا الفرد ، وألاّ تتخلّي عنه إلاّ إذا تأكّد لها أن وجوده بينها عنصر تعطيل لمهمتها أو رسالتها^(١) .

(١) المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة للدكتور سيد عثمان ص ٤٦ - ٤٧
بتصرف كثر .

ويشهد لهذا الجانب من هذا المهج ، الواقع نفسه ، فإن
الواقع ناطق بأن مَنْ جهل شيئاً عاداه كما قال الحقُّ
— سبحانه — ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم
تأويله ﴾ (١) ،

كما يشهد له تربية الله لرسوله ، ولجماعة المؤمنين أول مرة ،
فإن هذه التربية بدأت ودارت حول تعريف الإنسان بنفسه ،
وبربِّه ، وبالكون المحيط به ، وكيفية تعامله مع إخوانه ،
وكيفية تعامل إخوانه معه ، هذا فضلا عن كيفية تعامله مع
ربِّه ، ومع الكون المحيط ، حتى إذا وصلت هذه الحقائق إلى
القلوب ، وتفاعلت بها ، وصارت كأنما هي جزء منها ،
كانت الجماعة المسلمة التي وصفها الحقُّ — سبحانه — بقوله :
﴿ أشدّاء على الكفار ، رحماء بينهم ﴾ (٢) ، ﴿ والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان
رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ (٣) . والتي لم
تشهد البشرية لها مثيلا من قبل .

(١) سورة يونس : ٣٩ .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٠ .

٢ - المشاركة الفعّالة :

وذلك بأن يقوم كلُّ فردٍ في الجماعة بدوره على النحو الذي ينبغي ، مِنْ تنفيذ ما يكلف به من واجبات مادامت هذه الواجبات في المعروف ، وَمِنْ بذل للتّصحيح شريطة أن تكون في ثوبها اللائق بها ، وَمِنْ إعمال للفكر بما يعود على الجماعة بالخير والمصلحة^(١) .

٣ - رعاية الجماعة للفرد :

وذلك بأن تقوم الجماعة بواجبها نحو الفرد مِنْ رعايته المتمثلة في إعطائه حقّه ، والسؤال عنه ، وعلاج ما يعترض طريقه مِنْ صعاب ، وعقبات ، وإعمال كلِّ طاقاته ومواهبه فيما يناسبها من ميادين أو مجالات ، بل والإجابة عن كلِّ تساؤلاته أو استفساراته ، والنّظر لمقترحاته بعين التقدير والاعتبار .

٤ - دوام القرب من الله :

وذلك بأن يواظب كل فرد في الجماعة على ما يجعله رباناً فإن هذه الرّبانية ما تنشأ في النّفس إلا بعد طهارة القلوب

(١) المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة ص ٤٧ - ٥٠ بتصريف كثر .

وصفائها ، وحين تطهر القلوب وتصفوا يكون الحب والتألف والترابط بين كل أفراد الجماعة ،

إذ القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء : ﴿ وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألّف بينهم ﴾ (١) ، ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (٢) ، « إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل ، فقال : إني أحب فلانا فأحبه ، قال : فبحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبه ، فبحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل ، فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض » (٣) .

ولئما تتحقق الربانية بالبعد عن المعاصي والسيئات صغيرها

(١) سورة الأنفال : ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الأدب : باب المقتربين
الله تعالى ١٧/ ٨ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب إذا
أحب الله عبدا حببته إلى عباده ٤ / ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧ كلاهما من حديث أبي
هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا ، واللفظ لمسلم ، ولم يذكر البخاري
البغض .

وكبيرها ثم الإقبال على الطاعات بدءاً بالمحافظة على الفرائض وانتهاءً بالمواظبة على النوافل مع اتباع السنة في كل ذلك .
﴿ قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ (١) ، « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذْتَهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (٢) .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ١٣١/ ٨ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، وأخرج أحمد في المسند ٢٥٦/ ٦ نحوه من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ « قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحَلَّ مَحَارِبِي ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَايِضِ ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَإِن دَعَانِي لِأَجِبْتَهُ ، مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَلَىٰ وَفَاتِهِ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »

وأخرج ابن ماجه في : السنن : كتاب الفتن : باب : مَنْ تَرَجَّى لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ ٢ / ١٣٢٠ رقم ٣٩٨٩ نحوه مرفوعاً من حديث معاذ - رضي الله تعالى عنه -

٥ - استشعار المسؤولية :

وذلك بأنَّ يستشعر الفرد المسؤولية الفردية والجماعية
لاسيما تلك التي تكون غدا بين يدي الله - سبحانه وتعالى -
فإن استشعار هذه المسؤولية يحمله على تنفيذ كل الخطوات التي
قدمنا من أجل العيش والتعايش مع الجماعة .

وسنرى بعد قليل ، كيف كان الخوف من هذه المسؤولية
دافعا لكل فرد في الجماعة المسلمة التي ربها رسول الله ﷺ
أول مرة ، أن يقوم بواجبه بدقة وإتقان ، لا فرق في ذلك بين
أمير ومأمور ، سيّد أو عبد .

الفصل السادس الفردية والجماعية في حياة الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وإذا نحن قَلَّبْنَا صحائف التاريخ الإسلامي ، ورجعنا
بذاكرتنا إلى الوراء : إلى حياة الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
فإننا نجد أن هذه الفردية ، وتلك الجماعية قد تحسَّدتا واقعا حيا
في كيانهم ، وفي دنيا النَّاسِ ، ولكن بتناسق ، وتوافق ،
وانسجام عجيب .

ذلك أن الكُلَّ أدرك قيمة الجماعية والفردية على كيانه ، وفي
واقع الحياة ، فحرص على الارتقاء في أحضان الجماعة ،
والانضواء تحت لوائها ، ملتزما بكلِّ الضوابط والآداب التي
لابد منها لسلامة هذه الجماعة ، والحفاظ على كيانها ، في
الوقت الذي بقى محتفظا فيه بفرديته أو ذاتيته دون ذوبانٍ أو
تلاشيٍّ إذ لم يذكر لنا هذا التاريخ على طول وامتداد مرحلته
المذكورة آنفاً أن مسلما واحداً — تمكَّس الإسلام من

قلبه ، وخالطت حلاوته بشاشة هذا القلب - انفضَّ عن الجماعة ، وعاش في عزلة بعيدا عنها ، إلا ما كان من نفر قليل من هذا الرّعيل آثر العزلة زمن الفتنة ، وعذره أنه عزٌّ أو صعب عليه أن يستيب المُحِقَّ من المُبْطِلِ ، لاسيما والكلُّ مشهود له بالصحة ، وبمشاهدة الوُحْيِ والتنزيل ، ومع هذه العزلة فإنَّه لم ينقطع عن المشاركة في الفتوحات الإسلامية وتحرير الأرض من كلِّ سلطان إلا من سلطان الله - عزَّ وجلَّ - .

كذلك لم يذكر لنا هذا التاريخ أن واحدا في المسلمين لزم الجماعة ثم صار إمعة إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء . بل على العكس ، كان يحسن إذا أحسن النَّاسُ ، ويحتمب إساءتهم إن أساءوا ، مع النصيحة ، والدعوة إلى الحقِّ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا رسول الله ﷺ الذي كان يمثُلُ بنبوته ، وإمامته ، وقيادته الحكيمة : الجماعة المسلمة التي ظهَرتْ أوَّلَ مرَّةٍ ، لم يعرف عنه - وهو المعصوم المؤيَّد بالوُحْيِ - أنه انفرد بأمر دون أصحابه ، مادام هذا الأمر خاضعا للاجتهاد والرأي لقد كان يشاورهم ، ويحترم وجهة نظرهم ، ويأخذ بها في كثير من الأحيان وما مشاوراته لهم في بدر ، وأحد ، والخندق ، وحادثة الإفك ، والحديبية ونحوها إلا برهان صدقٍ ، ودليل

حق على ذلك .

وإلى جوار هذا كان شديد الحرص عليهم ، دائم السؤال عنهم ، رعوفاً رحيماً بهم ، يفتديهم بنفسه في موطن الشدة ، ويقدمهم على نفسه في موطن الرخاء .

يقول البراء - رضي الله تعالى عنه - : « كُنَّا ، وَاللَّهِ ! إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ ، وَإِنْ الشُّجَاعُ مِتَّ لِلَّذِي يَحَاذِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (١) .

ويقول علي رضي الله تعالى عنه - : « كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ » (٢) . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ ، فاستقبلهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَ النَّاسُ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا »

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب في غزوة حنين ٣ / ١٤٠١ رقم ٧٩ من حديث البراء - رضي الله تعالى عنه - بلفظ : « جاء رجل إلى البراء فقال : أكنتم ولئيم يوم حنين ، يا أبا عُمارة ؟ فقال : أشهد على نبي الله ما ولى ، ولكنه انطلق أخفاءً من الناس ، وحسرت إلى هنا الحي من هوازن ، وهم قوم رمة ، فرمؤهم برشق من نبل ، كأنها رجل من جراد ، فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ، ودعا ، واستنصر ، وهو يقول :

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَلْبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ »

اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ . قال البراء : كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ . : الحديث .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ١ / ١٥٦ من حديث علي - رضي الله

تعالى عنه - مرفوعاً به .

وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي ، ما عليه سَرَجٌ في عنقه
سيف (١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال : « الله ،
الذي لا إله إلا هو ، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من
الجوع ، وإن كنتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد
قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر
فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألتُه إلا ليشبني ، فمرَّ ولم
يفعل ، ثم مرَّ بي عمرُ فسألته عن آية من كتاب الله ما سألتُه إلا
ليشبني ، فمرَّ فلم يفعل ، ثم مرَّ بي أبو القاسم - صلى الله عليه -
فتبسَّم حين رأي ، وعرف ما في نفسي ، وما في وجهي ، ثم
قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق ،
ومضى ، فتبعته ، فدخل ، فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل ،
فوجد لبنا في قدح ، فقال : مر أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهناه
لك فلان أو فلانة ، قال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول
الله ، قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي ، قال : وأهل
الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على

(١) الحديث قطعة من حديث : أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب
الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ، وما يكره من البخل ١٦/٨ من حديث
أنس - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً بلفظ : « كان النبي صلى الله عليه أحسن الناس ،
وأجود الناس ، وأضجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة .. الحديث » .

أحد ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ،
وإذا أتته هديةً أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها ،
فساءني ذلك ، فقلتُ : وما هذا اللين في أهل الصفة ، كنتُ
أحقُّ أنا أن أصيب من هذا اللين شربةً أتقوى بها ، فإذا جاء
أمرني ، فكنتُ أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا
اللين ، ولم يكن من طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ - بد ،
فأتيتهم فدعوئهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا
مجالسهم من البيت . قال : يا أبا هريرة : قلتُ : لبيك يا رسول
الله ، قال : خذ فأعطهم ، قال : فأخذتُ القدح ، فجعلتُ
أعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يروى ، ثم يردُّ عليَّ القدح فأعطيه
الرجلَ فيشربُ حتى يروى ، ثم يردُّ عليَّ القدح فيشربُ حتى
يروى ، ثم يردُّ عليَّ القدح ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد
روى القومُ كلُّهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إليَّ
فتبسّم ، فقال : يا أبا هريرة ، قلتُ : لبيك يا رسول الله ، قال :
بقيتُ أنا وأنت ، قلتُ : صدقتُ يا رسول الله ، قال : أقعد
فاشرب ، فقعدتُ فشربتُ ، قال : اشرب ، فشربتُ ، فما زال
يقول : اشرب ، حتى قلتُ لا والذي بعثك بالحق ، ما
أجدُ له مسلكا ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله ،
وسمى ، وشربَ الفضلةَ» (١)

(١) الحديث أخرجه البحاري في الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان
عيش النبي ﷺ - وأصحابه ، وتحلُّمهم من الدنيا ٨ / ١١٩ - ١٢١ ، والترمذي =

هكذا كان رسول الله ﷺ يفدي كل واحد في هذه الجماعة الناشئة بنفسه في ساعات الشدة ، ويقدمه في ساعات الرخاء ، ولما عرف الصحابة منه — ﷺ — ذلك ، أحبوه من كل قلوبهم ، وفدوه بالمهج ، والأولاد والأهل ، والأموال ، حتى صار أولى بأنفسهم من أنفسهم ولكن هذا لم يمنعهم من المراجعة وإبداء الرأي فيما يعرفون أنه ليس حيا وإنما محلَّ اجتهاد ونظر .

يقول أبو هريرة : كنا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وحشينا أن يقتطع دوننا^(١) ، وفزعنا فقمنا ، فكنتُ أول مَنْ فزع ، فخرجت ابتغي رسول الله ﷺ حتى أتيتُ حائطا للأنصار لبني النجار ، فثرتُ به هل أجد له بابا ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه - والربيع الجدول - فاحتفرت كما يحتفز الثعلب^(٢) ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال : « أبو هريرة » فقلتُ : نعم يا رسول الله ، قال : « ما شأنك ؟ » ، قلتُ : كنت بين

= في : السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٦٤٨ — ٦٤٩ رقم ٢٤٧٧ ، وأحد في : المسند ٢ / ٥١٥ كلهم من حديث أبي هريرة — رضي الله تعالى عنه — مرفوعا ، واللفظ للبخاري ، وعقب الترمذي على روايته بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١) وحشينا أن يقتطع دوننا معناه : خفنا أن يصاب بمكروه من علو ونحوه .

(٢) فاحتفرتُ كما يحتفز الثعلب يعني تضاممتُ وتداخلتُ ليسعني المدخل .

أظهرنا ، فقممت فأبطأت علينا ، فخشينا أن تقطع دوننا ،
ففرعنا ، فكنت أول من فرع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت
كما يحتفر الثعلب ، وهؤلاء الناس ورأي ، فقال : « يا أبا
هريرة » وأعطاني نعليه ، قال : « اذهب بنعلي هاتين ، فمن
لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ألا إله إلا الله ، مستيقنا بها
قلبه ، فبشره بالجنة » فكان أول من لقيت عمر ، فقال : ما
هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول الله
ﷺ بعثني بهما . من لقيت يشهد ألا إله إلا الله مستيقنا بها
قلبه بشرته بالجنة ، ف ضرب عمر بيده بين ثديي ، فخررت
لأستي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله
ﷺ فأجهشت بكاءً ، وركبني عمر ، فإذا هو على أثري ،
فقال لي رسول الله ﷺ « مالك يا أبا هريرة ؟ » قلت : لقيت
عمر فأخبرته بالذي بعثني به ، ف ضرب بين ثديي ضربة ،
خررت لأستي ، قال : ارجع ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا
عمر ما حملك على ما فعلت ؟ » قال : يا رسول الله بأبي أنت
وأُمِّي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك ، من لقي يشهد ألا إله إلا الله
مستيقنا بها قلبه ، بشره بالجنة ؟ قال : « نعم » ، قال : فلا
تفعل ، فأني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، قال
رسول الله ﷺ « فخلهم » (١) .

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من
مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١ / ٥٩ — ٦١ رقم ٥٢ من حديث أبي هريرة —
رضي الله عنه — مرفوعاً به .

ولم تختلف الحال في عهد الخلفاء الراشدين أبى بكر ، وعمر ،
وعثمان ، وعلى عنها — في عهد النبي ﷺ .

فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - يقوم بأمر
المسلمين ، فيمثل قيادة أو رأس الجماعة ثم لا ينسى دوره نحو
كل واحد من هذه الجماعة ، إذ كان يقضي للعجز حاجتها
ويحلب لها شاتها ، ويوصي برء ما أخذ من بيت المال للأمة ،
ويسمع لهم بل وينزل عن رأيه في بعض الأحيان إلى رأيهم ،
وهم كذلك يعينونه على أمره بلزوم الجماعة ، والطاعة في
المعروف ، وبذل النصيحة مع الصدق والإخلاص .

جاء عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، إلى أبى
بكر - رضي الله تعالى عنه - فقالا : يا خليفة رسول الله ،
إن عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلاً ولا منفعة ، فإن رأيت
أن تقطعنا إياها لعلنا نحراثها أو نزرعها ، لعل الله أن ينفع بها
بعد اليوم ، فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون فيما قالوا إن
كانت أرضا سبخة لا ينتفع بها ؟

قالوا : نرى أن نقطعها إياها لعل الله ينفع بها بعد اليوم ،
فأقطعها إياها ، وكتب لهما كتاباً بذلك ، وأشهد عمر ،
وليس في القوم ، فانطلقا إلى عمر يشهدانه ، فوجداه قائماً بينهما
بعيراً له ، فقالا : إن أبا بكر قال : اشهد بما في هذا الكتاب ،
فاقرأ عليك أو تقرأ ؟ فقال : أنا على الحال الذي تريان ، فإن
شئتما فاقرا ؟! وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما ؟

قالا : بل نقرأ ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه ، فمحاها ، فتذمرا ، وقالوا مقالة شنيعة ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما ، والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله قد أعز الإسلام ، فاذهبا فاجهدا جهديكما ، لا رعى الله عليكما إن رعيتهما ، فأقبلا إلى أبي بكر ، وهما يتذمران ، فقالا : والله ما ندرى ، أنت الخليفة أم عمر ، فقال : بل هو لو كان شاء ، فجاء عمر ، وهو مغضب فوقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين ، أهي لك أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة ، فقال : ما حملك على أن تخصص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟ فقال : استشرت هؤلاء الذين حولي ، فأشاروا عليّ بذلك ، قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، فكلّ المسلمين أوسعهم أو أوسعّتهم مشورةً ورضاً ؟ فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - قد كنتُ قلتُ لك إنك أقوى على هذا ، ولكن غلبتني» (١) .

ومثل أبي بكر في هذا الشأن عمر ، وعثمان ، وعليّ - رضوان الله عليهم أجمعين -

ونختم حديثنا في هذا الفصل بذكر ثلاثة نماذج تصور لنا أداء هذا الرعييل لواجب النصيح والإرشاد تجاه الجماعة ، دون أن

(١) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الحوزي ص ٤٣ - ٤٤ وعنه نقل الطمطاويان في : أخبار عمر ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

يحملهم ذلك على أن ينفضوا أو يعتزلوا هذه الجماعة .

الأول في عهد عمر - رضي الله تعالى عنه -
وخلصته : أنه جاءت عمر بروثمن اليمن ، ففرقتها على الناس ،
بُرْدًا ، بُرْدًا ، ثم صعد المنبر يخطب ، وعليه حلة منها - أي
بردا - فقال : اسمعوا رحمكم الله ، فقام إليه سَلْمَانُ ، فقال ،
والله لا نسمع ، والله لا نسمع ، فقال : ولم يا أبا عبد الله ؟
فقال : يا عمر ! تَفَضَّلْتَ علينا بالدنيا ، فَرَقْتَ علينا بردا ،
بردا ، وخرجت تخطب في حلة منها ؟
فقال : أين عبد الله بن عمر ؟ فقال : ها أنذا يا أمير المؤمنين .
قال : لمن هذين البردين اللذين عليّ ؟ قال : لي .
فقال لسلمان : عجلت عليّ يا أبا عبد الله ، إنني كنتُ غسلتُ
ثوبي الخلق ، فاستعرتُ ثوبَ عبد الله ، فقال : أمّا الآن فقل ؛
نسمع ، ونطع (٢) .

والثاني في عهد عثمان - رضي الله تعالى عنه - وقد أخرجه
أحمد عن رجل قال : « كُنَّا قد حملنا لأبي ذرٍّ - رضي الله
عنه - شيئًا نريد أن نعطيه إيَّاه ، فأتينا الرِّبْدَةَ فسألنا عنه ، فلم
نجد ، قيل : استأذن في الحجِّ فأذن له ، فأتيناه بالبلدة ، وهي
بمِنَى ، فبينما نحن عنده إذ قيل له : إنَّ عثمان - رضي الله عنه -

(١) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الحوزي ص ١٣٤ ، وعنه نقل الطنطاويان في :

أخبار عمر ص ١٧٣

صَلَّى أَرْبَعًا ، فَاشْتَدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ قَوْلًا شَدِيدًا ، وَقَالَ :
 صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي
 بَكْرٍ ، وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ثُمَّ قَامَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ - فَصَلَّيْتُ أَرْبَعًا ، فَقِيلَ لَهُ : عِبْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ثُمَّ
 تَصْنَعُهُ ؟ قَالَ : الْخِلَافُ أَشَدُّ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاطَبْنَا ،
 وَقَالَ : إِنَّهُ كَاتِنٌ بَعْدِي سُلْطَانٌ ، فَلَا تَذَلُّوهُ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَلَّهُ
 فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ، وَلَيْسَ بِمَقْبُولٍ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى
 يَسُدَّ ثَلَمَتَهُ ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ ثُمَّ يَعُودُ فَيَكُونُ فِي مَنْ يَعِزُّهُ ، أَمْرُنَا
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا تَغْلِبُونَا عَلَى ثَلَاثِ نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَنْهَى
 عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَنَعْلَمُ النَّاسَ السُّنَنَ ۝ (١) .

وَالْأَخِيرُ فِي عَهْدِ عَثْمَانَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ
 قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ،
 وَعُمَرَ ، وَعَثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَدَرُوا مِنْ خِلَافَتِهِ ، كَانُوا
 يَصَلُّونَ بِمَكَّةَ ، وَبِمَعْنَى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ إِنْ عَثْمَانَ صَلَّاهَا أَرْبَعًا ، فَبَلَغَ
 ذَلِكَ ابْنَ مَسْعُودٍ فَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا . فَقِيلَ لَهُ :

(١) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٥ / ١٦٥ من حديث القاسم بن عوف
 الشيباني عن رجل ، وأورده المهيتمي في : مجمع الزوائد ٥ / ٢١٦ ، عازيا إياه إلى
 المسند ، ومعقبا عليه بقوله : « وفيه راو لم يُسَمَّ ، وبقية رجاله ثقات » ، وعنه نقل
 الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة ٢ / ٢ - ٣ .

استرجعت ثم صليت أربعاً؟ قال : الخلف شرٌّ» (١) .

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق في : المصنّف : كتاب الصلاة : باب الصلاة في السفر ٢ / ٥١٦ رقم ٤٢٦٩ من حديث معمر عن قتادة به ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة ٢ / ٣ .

الخاتمة

كشفت لنا هذه الدراسة : « شخصية المسلم بين الفردية والجماعية » عن نتائج عدّة في غاية الأهمية ، ودونك هذه النتائج :

النتيجة الأولى : أن النَّفسَ الإنسانيّة مؤلّفة من طائفة من الغرائز : تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منها متجاورتان في هذه النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه .

الخوف والرجاء ، الحبُّ والكراهة ، الاتجاه إلى الواقع ، الاتجاه إلى الخيال ، الاستعلاء والتواضع ، الشدّة واللين ... وهلمّ جرا .

النتيجة الثانية : أن لهذه الغرائز الكامنة في داخل النَّفس الإنسانية دوراً بارزاً في حياة الإنسان ، إذا هي عملت جميعاً -

كُلُّ واحدة في المجال الذي يناسبها - ودون أن تطغى إحداها على الأخرى ، إنَّها حينئذ تعينه على أن يحقق السيادة في الأرض ، في ظلَّ العبودية الحقَّة لله ربِّ العالمين .

النتيجة الثالثة : أن الفردية والجماعية هما أمُّ هذه الغرائز ، ورأسها ، إن عملتا بتوازن وتناسق ، عملت باقي الغرائز ، وإن أهملتا أو عطلتا أهملت أو عطلت كذلك باقي الغرائز .

النتيجة الرابعة : أن لكل من الفردية ، والجماعية دوراً إيجابياً ، وآخر سلبياً ، على كيان الإنسان ، وفي واقع الحياة ، والتربية الواعية المتأنية هي التي تحاول إبراز الإيجابيات ، وتجنُّب السلبيات .

النتيجة الخامسة : إن الإسلام وحده هو المنهج القادر على إشباع كل من الفردية والجماعية عند الإنسان ، بل وتحقيق التوازن والانسجام بينهما بحيث لا تطغى إحداها على الأخرى ، ولم لا يكون كذلك ، وهو حكم الله ؟ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حِكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) أنزله ليكون هداية للإنسان الذي هو تَخْلُقُ اللهُ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) .

النتيجة السادسة : أنه لا بد لصلاح النفس الإنسانية من تحقيق

(١) سورة المائدة . ٥٠ .

(٢) سورة الملك . ١٤٠

التوازن والانسجام بين الفردية والجماعية : « خالط الناس ،
ودينك لا تكلمته » .

النتيجة السابعة : أن تحقيق هذا التوازن ، وذلك الانسجام
ليس أمرا مستحيلا ، ولا صعبا ، إذ قد برز إلى الوجود بصورة
عملية في حياة الرّعيّل الأوّل من المسلمين ، وما وقع ولو مرّة
واحده يمكن أن يتكرر ألف مرّة ، ومرّة .

شريطة أن تكون هناك الجدية ، والمجاهدة : ﴿ والذين جاهلوا
فينا لنهدينهم سبيلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾ (١) .

والاقتداء والتأسي : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله ، واليوم الآخر ، وذكر الله
كثيرا ﴾ (٢) .

وفي ضوء هذه النتائج أذكر نفسي ، وكلّ معنيّ بهذا
الأمر ، أعني أمر إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة ، والتي
شعارها في هذه الحياة :

« قل إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله ربّ العالمين ،
لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أوّل المسلمين » (٣) .

بضرورة دراسة شخصية المسلم بين كلّ غريزتين من الغرائز

(١) الأثر تقدم تخريجه .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٣) سورة الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

التي تتألف منها هذه الشخصية على النحو الوارد في هذه الدراسة .

فمثلا تكون هناك دراسة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الخوف والرجاء » .
وثانية تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الحبِّ والبغض » .
وثالثة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الإلزام والتطوع » .
ورابعة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الشدَّة واللين » ،
وخامسة ، وسادسة ، وسابعة .. وهكذا

بحيث توضع هذه التصورات في أيدي المرئيين ، فتسهل عليهم
مهمَّة التربية أو نكون قد أعذرنا إلى الله تبارك وتعالى .
هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ،

وكتبه أبو عبادة

١٤ من المحرم ١٤٠٨ هـ

عشية الإثنين ٧ من سبتمبر ١٩٨٧ م

رأس الخيمة — الإمارات

جريدة المراجع

أخبار عمـر

علي وناجس الطنطاويان

دار الفكر - بيروت - الثالثة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م

الأمثال والحكم

أبو الحسن علي بن محمد

ابن حبيب المعروف بالماوردي ت ٤٥٠ هـ

دار الحرمين - قطر - الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

تاريخ عمر بن الخطاب

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

المعروف بابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ

دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

تفسير القرآن العظيم

الحافظ عماد الدين إسماعيل

ابن عمر المعروف بابن كثير ت ٧٧٤ هـ

دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

حياة الصحابة
الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي
دار المعرفة - بيروت

رسائل الإصلاح
الشيخ محمد الخضرجيين
دار الإصلاح - الدمام - السعودية

السُّنن
أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب
المعروف بالنسائي ت ٣٠٣ هـ
دار الكتاب العربي - بيروت

السُّنن
أبو داود سليمان بن الأشعث
المعروف بالسجستاني ت ٢٧٥ هـ
دار إحياء السنة النبوية - بيروت

السُّنن
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
المعروف بالدارقطني ت ٢٥٥ هـ
دار الكتب العلمية - بيروت

السُّنَن

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
المعروف بالترمذي ت ٢٧٩ هـ
دار إحياء التراث العربي - بيروت

السُّنَن

أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف
بابن ماجة القزويني ت ٢٧٥ هـ
دار إحياء التراث العربي - بيروت

الصَّحِيح

أبو الحسين مسلم بن الحجاج
القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ
دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي القاهرة
الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

الصَّحِيح

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
المعروف بالخازني ت ٢٥٦ هـ
دار إحياء التراث العربي - بيروت

الشُّوقِيَّات

أحمد شوقي أمير الشعراء
دار الكتاب العربي - بيروت

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
الأستاذ أبو الحسن الندوي
دار الأنصار - القاهرة - العاشرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر
المعروف بالهيثمى ت ٨٠٧ هـ
دار الكتاب العربى - بيروت - الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة
د . سيد عثمان
الأنجلو المصرية - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

المسند
الإمام أحمد بن محمد المعروف
بأبن حنبل الشيبانى ت ٢٤١ هـ
المكتب الإسلامى - بيروت

مصباح الزجاجاة فى زوائد ابن ماجة
الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر
المعروف بالبوكيرى ت ٨٤٠ هـ
دار العربية - بيروت - الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

المصنف

عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ
المكتب الإسلامي - بيروت - الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

منهج التربية الإسلامية ج ١

محمد قطب

دار الشروق - القاهرة وبيروت - الخامسة

١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الفهرست

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٥ | تقديم |
| ٩ | مدخل |
| | الفصل الأولي : |
| ١٢ | الفردية والجماعية عند الإسكندر |
| | الفصل الثاني : |
| | آثار الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي |
| ١٦ | واقع الحياة |
| ١٦ | أ - الآثار الإيجابية للفردية |
| ٢٥ | ب - الآثار الإيجابية للجماعية |
| ٣٨ | ج - الآثار السلبية للفردية والجماعية |
| | الفصل الثالث : |
| | الفردية والجماعية بين المذاهب الأرضية |
| ٤٢ | وبين الإسلام |
| ٤٣ | أ - الفردية والجماعية في نظر المذاهب الأرضية |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٤٦ | ب - الفردية والجماعية في نظر الإسلام |
| | الفصل الرابع : |
| ٤٨ | منهج الإسلام في تربية الفردية والجماعية |
| ٤٨ | أ - منهج الإسلام في تربية الفردية |
| ٦٠ | ب - منهج الإسلام في تربية الجماعية |
| | الفصل الخامس : |
| | منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين |
| ٧٤ | الفردية والجماعية |
| | الفصل السادس : |
| | الفردية والجماعية في حياة الرّعيّل الأول |
| ٨١ | من المسلمين |
| ٩٣ | الخاتمة |
| ٩٧ | جريدة المراجع |
| ١٠٣ | الفهرست |

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواحة لكلية الآداب

ب ٢٤٢٧٢١ - ص.ب ٢٣٠

ملكر DWFA UN ٢٤٠٠٤

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠١٧ / ٨٧

التزقيم الدولي ٩ - ٤٠ - ١٤٢١ - ٩٧٧

هذا الكتاب

تعدُّ الفردية أي الاعتداد بالنفس ، والحفاظ على ذاتيتها ، واستقلالها ، وكيانها ، وكذلك الجماعة أي الميل إلى العيش في الجماعة ، والتعايش معها من العرائز الأساسية المردوجة في الكيان الإنساني ، يشهد بذلك واقع الإنسان نفسه ، كما تشهد به بعض النصوص الشرعية التي تتضمن مسؤولية الإنسان عن عمله ، فردية كانت هذه المسؤولية أو جماعية .

وكلُّ من هاتين العريزتين إذا أحسن توجيهه ، ووضع في مساره الصحيح فإن له دوره الإيجابي ، وأثره الفعال في النفس البشرية ، وفي واقع الحياة ، أمّا إذا أهمل أو انحرف عن مساره الصحيح ، فإنّه يؤدي إلى التناقض والقلق في داخل النفس ، وبالتالي الخلل والاضطراب في واقع الحياة .

والكتاب الذي بين يديك أيّها القارئ دراسة منصفة للأثار الإيجابية والسلبية لكل من الفردية والجماعية ، وكذلك بيان لمهج الإسلام في تنمية الفردية والجماعية ، والتوفيق بينهما ، مع تقديم صورة حيّة عن هاتين العريزتين في حياة الرعيل الأول من المسلمين .

والهدف من وراء هذه الدراسة : أن تجاهد نفسك ، وتسعى لتلبية حاجتها من الفردية والجماعية ، ولكن باعتدال وقصد : « خالط الناس ودينك لا تكلمته » .

جار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة شارع

الإمام والمطابع المصنوعة من الأمان محمد عبده المراجعة لكاتب الآيات

٥ ٢٤٧٧١ / ٢٥٦٢٢ / ٢٥٦٢٢

المكسفة : امام كلية الطب ٢٤٧٧٢ من ٢٢ كس DWFA UN 24004



تطلب جميع منشوراتنا من .

جار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت ٢٩٢١٩٩٧ / ٢٩٢٤٦٠٦

